الرسالة إلى كنائس

غلاطية

إنّها الوثيقة العُظمى للحريّة الروحيّة في كلّ مكان وكلّ زمان

شارلز إردمان ***Charles Erdman***

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

ترجع نسبة كبيرة من الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية، وعدد كبير من الشعب الفرنسي، إلى الأصل السلتي *Celtic*، وهم الاسكوتلنديّون والويلزيّون والبريطانيون. وقد تتعجّب هذه الجماعات العرقيّة، فيما لو عرفت أنّ إحدى أبكر رسائل بولس الرسول قد كُتبت إلى أجدادها ("غلاطية" و"سلت" و"غال" هي كلمات مترابطة).

هاجر عدد كبير من الغاليّين الأوروبيين، حوالي سنة ٢٧٨ق.م، إلى ما يُعرف اليوم بتركيّا. ثم تثبّتت حدودهم ودُعيت ولايتهم "غلاطية". ويلاحظ كثيرون أن السمات "الغاليّة" تتجلّى في الغلاطيّين، وخاصة في تقلّباتهم السريعة (مثلاً، أعمال١٣ وغلاطية ٣: ١).

ومهما يكن من أمر، فقد أدّت الرسالة إلى أهل غلاطية دورًا رئيسيًا في بداية المسيحية. ومع أنّ هذه الرسالة تظهر كأنّها مسوّدة لرسالة رومية (لأنّها تتحدّث بطريقة مشابهة عن إنجيل النعمة وإبراهيم والناموس، الخ)، فهي محاولة جاهدة وغيورة لإنقاذ المسيحية من أن تصبح فرقة مسيّانية في اليهوديّة الناموسيّة. ومع أنّ ردّ فعل الغلاطيّين على هذه الرسالة ما يزال غير معروف، فقد انتصر إنجيل النعمة، بمعزل عن أعمال الناموس، وتابعت المسيحية

مسيرتها فأصبحت إيمانًا شائعًا في جميع أنحاء العالم.

وقد أدّت رسالة غلاطية في فترة الإصلاح دورًا مهمًّا في كتابات لوثر، حتّى إنّه كثيرًا ما أشار إليها بوصفها "رسالتي العزيزة" وقد كان لكتابه "شرح رسالة غلاطية"، تأثير كبير ليس في العلماء فقط بل في عامّة الناس أيضًا، وهو ما زال يُطبع ويُدرّس حتّى الآن.

٢ـ الكاتب

تُنسَب رسالة غلاطية إلى الرسول بولس، ولم تكن هذه الحقيقة أبدًا موضع شكّ يُذكر. هذا وإنّ بوليكاربوس يقتبس الرسالة ناسبًا إيّاها لبولس، كذلك يفعل أغناطيوس، ويوستينوس الشهيد، وأوريجانوس، وترتليانوس، وأكليمندس الإسكندري. وقد وردت الرسالة في لائحة الأسفار الموراتوريانية منسوبةً لبولس، وتحتلّ المركز الأول في القانون المرقيوني ربما بسبب لغتها القوية ضد اليهود. وهكذا فإنّ الأدلّة الخارجيّة للرسالة قويّة جدًا.

أمّا الأدلّة الداخليّة التي تشير إلى صحّة كتابة بولس للرسالة، فتبدأ بالإشارات الشخصيّة في ١: ١؛ ٥: ٢، والملاحظة قرب الختام (٦: ١١) بأنّه كتبها بأحرف كبيرة. وقد يدل، بحسب كثيرين، على إمكانية وجود مَرَض أصاب عيني الرسول. وممّا يدعم هذا الافتراض استعداد الغلاطيّين لقلع عيونهم من أجل بولس. هذا وتنسجم وقائع تاريخيّة كثيرة مذكورة في الرسالة مع سفر أعمال الرسل. كما أن الخلاف حول الختان وصحّة رسوليّة بولس فكانا موضوعين نشطا في الخمسينيات والستينيات من القرن الأول، إلاّ أنهما سرعان ما تلاشيا بعد ذلك.

٣ـ التاريخ

يعتمد تاريخ كتابة الرسالة على دقّة معنى التعبيرين: "كنائس غلاطية" والغلاطيون". فإن كانا يشيران إلى الأجزاء الجنوبية من آسيا الصغرى فهذا يعني أن الرسالة كُتبت في تاريخ مبكر، حتى قبل مجمع أورشليم. وإن كانت الإشارة هي إلى الجزء الشمالي، فعندئذ يكون التاريخ متأخرًا عن ذلك.

وقد استخدم التعبير "غلاطية" جغرافيًّا للدلالة على الشمال، كما استخدم سياسيًّا للدلالة على الجنوب، وهو مقاطعة غلاطية الرومانية.

كانت نظرية "غلاطية الشمالية" هي المعتمَدة حتى أوائل القرن الثامن عشر، وما يزال يعتنقها بعض الدارسين الألمان حتى الآن. ومع أنّه لا يوجد أيّ إثبات على أن بولس قد خدم الغلاطيّين في تلك المنطقة. فإنّ هذا لا ينفي هذه النظرية بشكل قاطع.

أمّا نظرية "غلاطية الجنوبية" فقد اعتنقها كثيرون في بريطانيا العظمى وأميركا الشمالية بعدما جعلها السير وليم رامساي *Sir William Remsay* شائعة. ويخصّص لوقا مكانًا واسعًا في سفر الأعمال لتبشير بولس في هذه المنطقة

(انطاكيا بيسيدية، إيقونية، لسترة ودربة). لذلك يرجّح أن يكون بولس قد كتب للمؤمنين الذين اهتدوا على يده هناك. ويمكن أن يكون تاريخ الرسالة إلى الغلاطيين مبكّرًا لأن بولس بشّر جنوب غلاطية في رحلته التبشيرية الأولى، وزارها ثانية في رحلته الثانية. وإنّ افتراض كتابة الرسالة قبل مجمع أورشليم المذكور في أعمال ١٥ (سنة ٤٩م) يفسر لماذا كانت مسألة الختان قضية أخذ وردّ وقتذاك. هذا، ويربط العالم النابه المحافظ، الألماني ثيودور دزان *Theodor Zahn*، تاريخ هذه الرسالة إلى الغلاطيّين برحلة بولس التبشيرية الثانية، وعلى وجهٍ خاصٍّ بمدينة كورنثوس، ممّا يجعلها أول رسالة كتبها بولس.

إذا كانت "النظرية الشمالية" صحيحة فمن المحتمل أن تكون رسالة غلاطية قد كتبت في الخمسينيّات، وربّما في بداياتها، كسنة ٥٣ مثلاً، لكنْ يُحتمَل أن تكون كتبت بعد ذلك.

وإذا كانت النظرية الجنوبية صحيحة، الأمر الذي نعتقده، خاصة إن كانت الرسالة قد كتبت قبل أن يحضر بولس مجمع أورشليم الذي بتّ في قضيّة الختان للمسيحيين من الأمم، فيعود عندئذٍ تاريخ كتابتها إلى السنة ٤٨م.

٤ـ الخلفية والمواضيع الرئيسية

زار الرسول بولس، في جولاته التبشيريّة المبكّرة، آسيا الصغرى كارزًا بالرسالة المجيدة المُنادية بأنّ الخلاص هو بالإيمان بالمسيح وحده. وقد أدّت كرازته هذه إلى خلاص الكثيرين ممّن سمعوه، وتأسّست كنائس كان عدد منها في مقاطعة غلاطية. ويُعرف عن سكان غلاطية أنّهم غير مستقرّين ومحبّون للخصام والنزاع ومتقلّبون.

لكن بعدما ترك بولس هذه المنطقة، دخل معلّمون كذبة إلى الكنائس وأدخلوا تعاليم خاطئة. فقد علّموا أنّ الخلاص هو بالإيمان بالمسيح بالإضافة إلى حفظ الناموس. كانت رسالتهم خليطًا من المسيحية واليهودية، من النعمة والناموس، من المسيح وموسى. وقد حاولوا أيضًا أن يُبعدوا الغلاطيّين عن بولس إذ ادّعوا أنّه لم يكن رسولاً حقيقيًّا من رُسل الرب. ولذلك لم تكن رسالته جديرةً بالثقة. فقد سعوا إلى نقض الثقة بالرسالة من طريق التشكيك بالمرسِل. وتأثّر كثيرون من المسيحيين الغلاطيين بادّعاءاتهم الشريرة. ولنتخيّل مقدار الحزن وخيبة الأمل التي أصابت بولس عند سماعه أخبارًا كهذه عن الغلاطيين! ترى هل ضاعت أتعابه بين أولئك الناس؟ هل يمكن إنقاذ هؤلاء المسيحيين من تعاليم التهوّد الناموسية؟ لقد أدرك بولس أنّ الحاجةَ مُلحّة لتحرّك سريع وحاسم. فأخذ قلمه وكتب رسالة ساخطة لأولاده الأحبّاء في الإيمان، وأوضح في هذه الرسالة الطابع الصحيح للخلاص وكيف أنه يُعطى بالنعمة من البداية وحتى النهاية، وليس من طريق حفظ الناموس، كاملاً كان أم جزئيًّا. فالأعمال الصالحة ليست شرطًا أوليًّا للخلاص، بل هي ثماره. والمسيحي قد مات بالنسبة للناموس، وهو يعيش حياة القداسة لا بجهوده الشخصية بل بقوّة روح الله القدوس الساكن فيه.

التقسيم

١ـ قِسم شخصيّ: دفاع بولس عن سلطته الرسولية (أص١، ٢)

أـ غاية بولس من الكتابة (١: ١ـ١٠)

بـ دفاع بولس عن رسالته وخدمته (١: ١١ـ٢: ١٠)

جـ توبيخ بولس لبطرس (٢: ١١ـ٢١)

٢ـ قِسم تعليميّ: دفاع بولس عن التبرير بالإيمان (٣: ١ـ٥: ١)

أـ حقّ الإنجيل العظيمُ (٣: ١ـ٩)

بـ بين الناموس والوعد (٣: ١٠ـ١٨)

جـ غاية الناموس (٣: ١٩ـ٢٩)

دـ أولاد وأبناء (٤: ١ـ١٦)

هـ عبوديّة أو حريّة (٤: ١٧ـ٥: ١)

٣ـ قِسم عمليّ: دفاع بولس عن الحريّة المسيحيّة، حريّة الروح (٥: ٢ـ٦: ١٨)

أـ خطر الناموسيّة (٥: ٢ـ١٥)

بـ القوّة اللازمة للقداسة (٥: ١٦ـ٢٥)

جـ تحريضات عمليّة (٥: ٢٦ـ ٦: ١٠)

دـ الخاتمة (٦: ١١ـ١٨)

التفسير

١ـ قِسم شخصيّ: دفاع بولس عن سلطته الرسوليّة (أص١، ٢)

أ. غاية بولس من الكتابة (١: ١ـ١٠)

١: ١ يشدِّد بولس في البداية على أنّ دعوته رسولاً كانت دعوةً إلهيّة، وهي لم تصدر عن بشر ولا أعلنها له الله عن طريق آخرين، إذ جاءته مباشرة بيسوع **المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات.** وعندما يكون لأحد دعوة كهذه من الله وحده، ويكون مسؤولاً أمام الله دون سواه، يكرز المدعو بالرسالة الإلهيّة بحريّة بلا خوف من بشر. لهذا كان الرسول مستقلاً عن الاثني عشر رسولاً وعن الآخرين أيضًا، سواء في رسالته أم في خدمته.

يشير هذا العدد، كما نرى، إلى ألوهيّة المسيح سواء كان بصريح العبارة أو بمضمون النصّ. فالعبارة تقول صريحًا: **لا بإنسان بل بيسوع المسيح**. وألوهيّة المسيح مستنتجة أيضًا من الطريقة التي فيها يربط الرسول بولسُ يسوعَ المسيح بالله الآب، مساويًا بين الإثنين. ومن ثمّ يذكر الله الآب بوصفه مَن أقام يسوع من الأموت. ولعلّ عند بولس أسبابًا وجيهة دفعته لتذكير الغلاطيّين بهذه الحقيقة. فالقيامة كانت دليلاً على اكتفاء الله التامّ بعمل المسيح لخلاصنا. ولم يكن الغلاطيون، على ما يظهر، مكتفين كليًّا بعمل المخلّص لأنّهم كانوا يسعون لتكميله فإضافة مجهوداتهم الخاصة في حفظ الناموس.

جاءت دعوة بولس من المسيح المقام مباشرة بخلاف الرسل الاثني عشر الذين دعاهم الربّ يسوع في أثناء خدمته على الأرض. ونتيجة لذلك صارت القيامة جزءًا رئيسيًّا من رسالته.

١: ٢ يُشرك الرسول نفسه مع جميع الإخوة الذين كانوا معه. ويشترك هؤلاء الإخوة في الطلب إلى الغلاطيّين أن يتمسّكوا بحق الإنجيل. وتتعمّد الرسالة إلى كنائس غلاطية عدم إظهار الحرارة في التحيّة. فعادةً يخاطب بولس المؤمنين مسمّيًا إياهم «كنيسة الله» أو «القدّيسين»، أو «المؤمنين في المسيح يسوع». وغالبًا ما كان يعبّر عن شكره للمسيحيين، أو يمتدح فضائلهم ومرارًا كثيرة كان يذكر الأفراد بالاسم. لكنّه هنا لا يفعل أيًّا من هذه الأمور. فخطورة الضلال في كنائس غلاطية دفعت بولس لأن يكون صارمًا وجافًّا معهم.

١: ٣ النعمة والسلام كلمتان من كلمات الإنجيل العظيمة. **فالنعمة** هي إحسان الله إلى الخطاة الأثمة دونما استحقاق من جانبهم، وهي لا تطلب من الإنسان أن يعمل، بل تخبره بما قد عمله الله من أجله وتدعوه لقبول الخلاص كعطيّة مجانيّة. يقول سكوفيلد *Scofield*: "بدل التفتيش عن الناس الصالحين بغية مدحهم، تبحث النعمة عن المحكوم عليهم والمذنبين والذين بلا حجّة ولا مُعين، لكي تخلّصهم وتقدّسهم وتمجّدهم".

والسلام هو نتيجة عمل النعمة، لأنه عندما يقبل الخاطئ الرب مخلّصًا، يُصبح لديه سلام مع الله. فهو يستريح لعلمه بأنّ أجرة خطاياه قد دُفعت، وأن ذنوبه قد غُفرت، وأنّه لن يأتي إلى دينونة أبدًا. ولكن النعمة لا تخلّص فقط بل تحفظ أيضًا. ونحن نحتاج ليس إلى "السلام مع الله" وحده، بل إلى «سلام الله» أيضًا. هذه هي البركات التي تمناها بولس للغلاطيّين في بداية رسالته إليهم. ولا شكّ أنّهم أدركوا يقينًا أنّ هذه البركات لا يمكن أن تأتي بواسطة الناموس. فالناموس أصدر حكم اللعنة على كلّ من كسر وصاياه، ولم يقدّم السلام لأيّ نفس على الإطلاق.

١: ٤ يُذكّر بولس قرّاءه الآن بالثمن العظيم الذي دُفع لأجل خلاصهم. لاحظ هذه الكلمات: **ربّنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا**. فإن كان هو قد بذل نفسه ليسوّي مسألة الخطية، فعندئذ يكون من غير الضروري، بل من المستحيل علينا، أن نزيد على عملٍ كهذا أو نُساهم في التكفير عن خطايانا بحفظنا للناموس. فالمسيح هو المخلّص الوحيد والكافي. وهو مات **لينقذنا من العالم الحاضر الشرير**. وتشمل هذه العبارة الأخيرة ليس فساد هذا الدهر خلقيًّا وسياسيًّا فقط، بل أيضًا

فساد النظام الديني الذي يخلط الطقوس والشعائر مع الإيمان بالمسيح. لذلك رأى بولس من اللازم أن يذكّر الغلاطيين بأنّهم يحاولون الرجوع إلى النظام الذي مات المسيح لينقذهم منه! لقد كان فداء المسيح **حسب إرادة الله وأبينا**، وهذا يُرجع الفضل لصاحبه، ليس لمجهودات الإنسان الباطلة بل بالحري لإرادة الله المطلقة. فالنصّ يؤكّد أنّ المسيح هو طريق الله للخلاص وأنه ليس من طريق آخر. هذا ويجب أن يكون العدد الرابع مذكّرًا لنا بأن الله ليس مهتمًّا بتحسين **العالم**، أو بجعل الإنسان يعيش مستريحًا فيه بل هو مهتمّ بإنقاذ البشر منه. وعليه، يجب أن تتوافق أولويّاتنا مع أولويّاته.

١: ٥ يرجع كل **المجد** في خلاص الإنسان، بحسب إنجيل النعمة، لله أبينا والربّ يسوع المسيح. ولا يمكن للإنسان أن يشترك في هذا المجد كشريك في الخلاص من طريق حفظ الناموس.

لكل عبارة في الأعداد الخمسة الأولى معناها الخاص، وتتضمّن هذه الكلمات القليلة حقائق كثيرة. ولقد عبّر الرسول بولس بشكلٍ موجز عن الموضوعين الرئيسيّين اللذين سيشغلان باقي الرسالة: سلطانه الشخصي رسولاً، وإنجيل نعمة الله. وهو مستعدّ الآن ليتكلّم مباشرة للغلاطيين بشأن المشكلة المطروحة.

١: ٦،٧ يواجه بولس الغلاطيين مباشرةً بحقيقة استعدادهم لقبول الضلال، وهو يتعجّب كيف أنّهم ينتقلون فجأة عن حقّ الإنجيل، وبقوة يصف عملهم بأنه تحوّل عن الله نحو إنجيل خاطئ. لقد **دعاهم** الله إلى **نعمة المسيح**، وها هم الآن يضعون أنفسهم تحت لعنة الناموس. فبعد أن قبلوا الإنجيل الصحيح مرة، نراهم الآن يتحوّلون عنه إلى إنجيل آخر لا يمتّ للأخبار السارّة بأيّة صلة، وما هو إلا رسالة مشوّهة ومزج للنعمة بالناموس.

١: ٨،٩ يلفظ الرسول بولس مرّتين لعنة الله المخيفة على كلّ من يكرز **بإنجيل آخر**، لأن لدى الله رسالة واحدة للخطاة الهالكين: إنه - تبارك اسمه - يقدّم الخلاص بالنعمة بالإيمان، بمعزلٍ عن أعمال الناموس كليًّا. وهذا يعني أنّه يجب أن يُدان كلّ من يكرز بطريق آخر للخلاص. فمن الخطورة بمكان أن يبشّر أحد برسالة تؤدي إلى الهلاك الأبدي للنفس البشرية! ولم يتساهل بولس أبدًا مع معلّمين كذبة من هذا النوع، لذلك علينا نحن بدورنا أن نحذو حذوه. ويحذّر ستوت *John Stott* قائلاً:

> علينا ألاّ ننبهر، كما ينبهر الآخرون، بشخصيّات المعلّمين في الكنائس، ولا بمناصبهم ولا بمواهبهم. إذ قد يأتون إلينا أساقفة أو رؤساء أساقفة أو أساتذة جامعات، أو حتى بشخص البابا نفسه، لكنهم إذا قدّموا لنا إنجيلاً آخر غير المكروز به من قِبل الرسل والمدوّن في العهد الجديد، فيجب علينا أن نرفضهم. علينا أن نحكم عليهم بحسب الإنجيل لا أن نحكم على الإنجيل بحسبهم. وكما صرّح الدكتور ألن كول *Alan Cole* قائلاً: "إنّ شخصيّة الرسول الظاهرة لا تصادق على شرعيّة رسالته، وإنّما الرسالة نفسها هي التي تصادق على شرعيّة حاملها".

نلاحظ هنا أن الرسول يقول، **ملاك من السماء**، وليس "ملاك من الله". فقد يُقدّم **ملاك من السماء** رسالة خاطئة. لكن لا يستطيع ملاك من الله أن يفعل ذلك. ولا يوجد كلام آخر يعبّر عن تفرّد الإنجيل بوضوح أكثر من هذا الكلام. فالإنجيل هو طريق الله الوحيد لخلاص الإنسان، ولا مكان فيه للمجهود الشخصي أو الإستحقاق

البشري. والإنجيل وحده يقدّم لنا الخلاص دون مال ولا ثمن. وإذ نجد في الناموس لعنةً لمن يفشل في حفظه، نرى أنّ الإنجيل تقترن به لعنة على من يسعى لتغييره.

١ : ١٠ ربّما تذكّر بولس، إذ وصل إلى هنا، أنّ أعداءه يتّهمونه بتغيير رسالته لكي تناسب سامعيه. لذلك فهو يسأل ما معناه: "فيما أنا أشدّد على أنّه ليس إنجيل آخر، هل أحاول إرضاء **الناس أو الله**؟". بديهيّ أنّه **لا يحاول إرضاء الناس**، لأنّ الناس يكرهون التفكير بوجود طريق واحد فقط للسماء وليس غير. فلو غيّر بولس رسالته ليرضي الناس لما كان بعد **عبدًا للمسيح**، بل لكان يدعو غضب الله ليحلّ عليه.

ب. *دفاع بولس عن رسالته وخدمته* (١: ١١-٢: ١٠)

١ : ١١، ١٢ يُقدّم الرسول الآن ستّ حجج للدفاع عن رسالته وخدمته. أوّلاً، لقد تسلّم الإنجيل بإعلان إلهي دونما تدخّل بشري. لم يكن **بحسب إنسان**، بمعنى أنّه لم يصدر عن إنسان. وقليلٌ من التفكير يُثبت لنا هذا الأمر. فإنجيل بولس يجعل كلّ شيء من الله ولا شيء من الإنسان. ولا يمكن لهذا النوع من الخلاص أن يكون من إبتكار بشر! إذ لم يتسلّمه بولس **من عند إنسان** ما ولا **تعلّمه** من الكتب أيضًا، بل جاءه مباشرة **بإعلان من يسوع المسيح** نفسه.

١ : ١٣، ١٤ ثانيًا، لا يمكننا أن ننسب عدم إدخال بولس للناموس اليهودي في إنجيله لجهله بأمور الديانة اليهوديّة. فقد كان بولس، سواء بالولادة أو بالتدريب، متعمّقًا في الديانة اليهوديّة. وباختياره الشخصي أصبح مضطهِدًا كبيرًا للكنيسة. وقد تخطّى كثيرين من أبناء جيله اليهود إذ كان **أوفر غيرة في تقليدات الآباء**. لذلك، فإنّ إنجيل الخلاص الذي ينادي به بمعزلٍ عن الناموس لا يمكن أن نعزوه لجهل منه بالناموس. لماذا إذًا أسقطه من رسالته؟ لماذا تناقض إنجيله مع خلفيّته وميوله الطبيعيّة وكامل تربيته الدينية؟ السبب البسيط هو أنّ الإنجيل لم يكن من إنتاجه الفكري، بل أُعطي له مباشرة من عند الله.

١ : ١٥-١٧ ثالثًا، كانت أولى سني خدمة بولس مستقلّة عن باقي **الرسل**. ويحاول الرسول الآن إظهار استقلاله عن باقي الناس من جهة الإنجيل الذي يبشّر به. هذا **ولم يستشر** بولس بعد إهتدائه أحدًا من القادة البشريّين، ولا صعد **إلى أورشليم** حيث كان الرسل الآخرون. بل عوضًا عن ذلك ذهب **إلى العربيّة** (بلاد العرب)، ورجع بعد ذلك أيضًا **إلى دمشق**. ولم يكن تصميمه على تجنّب الذهاب إلى أورشليم ناتجًا عن قلّة احترامه لسائر الرسل لهم، بل كان نتيجةً لتفويضه المباشر من قِبَل الربّ المُقام وإعطائه خدمةً خاصة به بين الأمم (٢: ٨). لذلك لم يكن إنجيله ولا خدمته بحاجة إلى إذن بشريّ، فلقد كان مستقلاً عن البَشَر كُليًّا.

في هذه الأعداد عدّة عبارات تستحقّ عنايةً خاصة. لاحظ الكلمات الموجودة في العدد ١٥: **الله الذي أفرزني من بطن أمي**. لقد أدرك بولس أنّ الله أفرزه لعمل خاص حتى قبل أن يُولد، ويضيف قائلاً: **الله الذي دعاني بنعمته**، مشيرًا إلى إهتدائه على طريق دمشق، فلو أنّه نال في ذلك الوقت ما استحقّه لكان طُرح في هاوية الجحيم؛ لكنّ المسيح، في نعمته العجيبة، خلّصه وأرسله ليكرز بالإيمان الذي كان يحاول إتلافه.

ويُظهِر بولس في العدد ١٦ أنّ قصد الله كان أن **يعلن ابنه فيه**، وهذا يعطينا صورة رائعة عن قصد الله في دعوته لنا: أن يعلن ابنه فينا، لكي نُظهِر بدورنا الربّ يسوع المسيح للعالم من حولنا. فهو يعلن المسيح لقلوبنا (ع١٦) لكي يظهره من خلالنا (ع١٦-٢٢) حتى يتمجّد الله في هذا العمل (ع٢٤). وقد كانت الكرازة بالمسيح واجب بولس الرئيسي.

يقول في العدد ١٧: «**ذهبت إلى العربية**». وكلّ خادم للربّ يلزمه وقت عزلة وتأمل، فقد أمضى موسى أربعين سنة في مكان منعزل في الصحراء، وأختلى داود في حضرة الله عندما كان يرعى غنمه على روابي اليهودية.

١: ١٨-٢٠ رابعًا، عندما زار بولس أخيرًا أورشليم التقى **بطرس ويعقوب** فقط. عدا ذلك، كان غير معروف نسبيًّا لدى كنائس اليهوديّة (١: ٢١-٢٤). وقد ذكر بولس أنّه لم يَزُر أورشليم إلاّ بعد ثلاث سنين من إهتدائه لكي يُظهر مرة أخرى إستقلاله عن باقي الرسل. وعندما صعد إلى أورشليم، كانت زيارته شخصيّة لا رسميّة، هدفها التعرّف **ببطرس** (أع ٩: ٢٦-٢٩). وبينما هو هناك، إلتقى **يعقوب أخا الرب** واستغرق لقاؤه ببطرس **خمسة عشر يومًا** فقط: وقتٌ لا يكاد يكفي لدورة تدريبيّة! بالإضافة إلى ذلك يؤكّد لنا النص أنه كان متساويًا بالتمام مع خدّام الرب هؤلاء.

١: ٢١-٢٤ وبعد ذلك قضى معظم وقته **في أقاليم سورية وكيليكية**، حتى إنّ **كنائس اليهودية** لم تعرفه **بالوجه**. أمّا كلّ ما عرفوه عنه فهو أنّ الذي كان يضطهد المسيحيين أصبح الآن مسيحيًّا يكرز بالمسيح للآخرين. بسبب هذا، كانوا **يمجّدون الله** على ما عمله في حياة بولس. (تُرى، هل يُمجّد الآخرون الله بسبب التغيّر في حياتنا؟).

٢: ١ خامسًا، اعترف الرسل في أورشليم، خلال زيارة بولس الأخيرة للمدينة، بأنّ الإنجيل الذي كان يكرز به هو من الله (٢: ١-١٠). هذا وقد شعر بعض المؤمنين أنّ الكنيسة في أورشليم هي "الكنيسة الأمّ"، ذلك لأنّ الكنيسة بدأت هناك، والرسل جعلوا مقرّ قيادتهم في تلك المدينة. لذلك اضطُرّ بولس لأن يواجه الاتّهامات التي كانت تدّعي أنّه أقلّ شأنًا من الرسل الذين في أورشليم لأنّه لم يكن واحدًا منهم.

وها هو بولس يجيب بشكل مُفصّل مخبرًا عن رحلته **إلى أورشليم**، ولسنا نعلم هل كانت **الأربع عشرة سنة** هذه بعد إهتدائه أو بعد رحلته الأولى. لكن ما نعلمه هو أنّه تلقّى إعلانًا مباشرًا من المسيح بالذهاب برفقة **برنابا** شريكه في العمل **وتيطس** الأممي الذي آمن بواسطة خدمة بولس. هذا وإنّ أنصار التهوّد أصرّوا على ضرورة إختتان تيطس لتكميل خلاصه. لكنّ الرسول عارض هذا الأمر بشدّة لأنه أدرك أنّ حقّ الإنجيل على المحكّ (عندما ختن بولس بنفسه تيموثاوس لاحقًا، لم يكن هناك أيّ مبدإ هام يرتبط بالموضوع-أع ١٦: ٣).

يقول كيفن *E.F. Kevan*:

> رأى بولس أنّ مسألة الختان، لأجل التبرير لم تكن مسألة طقس بسيط برئ، كما قد يظنّ بعض البسطاء، لأنّ عملية الختان كانت سعيًا للتبرير بطريقة ناموسيّة من طريق حفظ الناموس، وفي هذا نقض لأبسط قواعد النعمة.

٢: ٢ عندما وصل بولس إلى أورشليم أطلعهم على الإنجيل الذي كان يكرز به بين الأمم، **ولكن بالإنفراد على المعتبرين**، لئلاَّ يكون يسعى أو قد سعى باطلاً. لماذا تكلم بولس على انفراد مع القادة الروحيّين بدلاً من أن يتكلّم لكلّ الجماعة؟ هل أراد منهم أن يوافقوا على إنجيله فيما لو كان يكرز برسالة مغلوطة؟ لا طبعًا! لأنَّ هذا يناقض كلّ ما قاله الرسول. فلقد أكّد أنه تلقّى رسالته بإعلان إلهي، ولم يكن لديه أدنى شكّ بصحّة التعليم الذين كان يكرز به. لذلك لا بدّ من وجود تفسير آخر للأمر. كان ينبغي، بحسب الأصول، التحدّث مع القادة أولاً. وكان من المستحسن أن يقتنع القادة كليًّا بصحّة إنجيل بولس، إذ أراد أن يُجيبهم، قبل غيرهم، في حال وجود أسئلة أو صعوبات لديهم. عندئذ يستطيع أن يظهر أمام الكنيسة متمتّعًا بالدّعم الكامل من قِبَل الرسل الآخرين.

عندما يكون التعامل مع عدد كبير من الناس، يزداد الخطر في أن تسيطر التهم العاطفية على الجماعة، لذلك استحسن بولس أن يعرض إنجيله **على انفراد** في البداية، وسط جوّ خالٍ من الهستيريا الجماعيّة. فلو تصرّف بولس بشكل آخر، لَنشأ خصام حادّ ربما كان أدّى إلى انشقاق الكنسية إلى جناحين أحدهما يهوديّ والآخر أمميّ؛ وعند ذاك تفشل مقاصد بولس من زيارته إلى أورشليم. وهذا ما عناه بقوله «**لئلاَّ أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً**».

٢: ٣ طُرِحت مسألة الناموسيّة على بُساط البحث عند مجيء تيطس. تُرى، هل تقبل الكنيسة في أورشليم هذا الأمميّ الراجع إلى الله في الشركة مع الجماعة، أم هل تصرّ على أن يختتن* أوّلاً؟ وبعد مباحثة وجدل طويلين قرّر الرسل أنَّ الختان غير ضروري للخلاص، وأحرز بولس نصرًا كبيرًا**.

٢: ٤ أمّا السبب الرئيسي الذي من أجله جاء بولس إلى أورشليم فواضحٌ من الطريقة التي يربط بولس فيها العدد ٢ ببداية العدد ٤. «**صعدت بموجب إعلان... ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفيةً**». ويشير هذا الكلام إلى ما سبق أن حدث في أنطاكيّة، لأنَّ بعض المعلّمين اليهود أُدخلوا خفيةً إلى الكنيسة في أنطاكية وكانوا يدّعون الإيمان بالمسيح ويعلّمون أنَّ الختان ضروريّ للخلاص.

٢: ٥ لكن بولس وبرنابا قاوماهم بشدّة، وصعد بولس وبرنابا وآخرون معهما إلى أورشليم لتسوية الأمر والوقوف على رأي الرسل والمشايخ هناك.

٢: ٦ إنَّ المعتبرين قادةً في أورشليم **لم يشيروا** على بولس بشيء آخر، لا من جهة رسالته ولا من جهة صفته رسولاً. وكان هذا أمرًا هامًّا، إذ إنَّ بولس شدّد في الأصحاح السابق على قلّة اتّصاله بالرسل الآخرين، لكن عندما اجتمع أخيرًا معهم وافقوا على أنّه يكرز بالإنجيل

* الختان هو عملية جراحية بسيطة تُجرى للذكور. لما عيَّنها الله لإبراهيم ونسله، كان يريدها كعلامة عهد معهم؛ أن يكون هو إلههم ويكونون هم شعبه (تك١٧: ١-١١). كانت مجرد علامة في الجسد، لكن ذات مغزى روحي. ولقد اختتن إبراهيم كعلامة إيمان بالله (رو٤: ١١). لكن اليهود نسوا سريعًا المعنى الروحي للختان، ومارسوه كمجرد طقس؛ فأصبح بلا قيمة في نظر الله. في العهد الجديد لم يعد هناك أمر بالختان، حيث أن الله، بالنعمة، يتعامل مع الأمم واليهود على حدٍ سواء. وفي الأيام الباكرة للكنيسة أصرّت جماعة من المؤمنين من أصل يهودي على لزوم الختان للخلاص، وقد دُعي هؤلاء «الذين هم من الختان» (غل٢: ١٢).

** الرواية الكاملة لهذا الاجتماع في أورشليم معطاة في أعمال١٥، ويجب أن تُدرَس بدقة.

عينه الذي كانوا ينادون به. وهذه نقطة في غاية الأهميّة! فلقد وافق هؤلاء القادة اليهود على أنّ إنجيله لم يكن ناقصًا على أيّ وجه. فمع أنّ بولس كان مستقلاً عنهم، ولم يكن قد تعلّم منهم، فالإنجيل الذي كرز به كان موافقًا للذي يكرزون هم به (لم يشأ بولس أن يقلّل من شأن الرسل الآخرين لكنه صرّح قائلاً: **مهما كانوا لا فرق**، أي حتى لو كانوا رفقاء الربّ على الأرض فهذا لا يعطيهم أيّة سلطة عليا في نظره، لأنّ الله لا ينبهر بشخصية الإنسان الظاهرة، ناظرًا إلى صفاته الخارجية).

٢: ٧،٨ أقرّ الرُسل في أورشليم بأنّ بولس قد حصل من الربّ، بالنعمة غير المستحقّة، على تفويض بحمل الإنجيل إلى الأمم (ذوي الغُرلة) بالطريقة التي بها أرسل بطرس إلى اليهود (أهل الختان). وكان كلا الرجلين يكرزان بالإنجيل نفسه، إنّما لقومَين مختلفين.

٢: ٩،١٠ **وأدرك يعقوب وصفا ويوحنا أيضًا المعتبرون أنهم أعمدة** في الكنيسة أنّ الله هو العامل من خلال بولس، **فأعطوه وبرنابا يمين الشركة** في حمل البشارة إلى الأمم.

لم يكن هذا الأمر سياسة رسميّة، بل كان تعبيرًا عن اهتمامهم المقترن بالمحبة لخدمة بولس. أمّا النصيحة الوحيدة التي قدّموها فكانت أن **يذكر بولس وبرنابا الفقراء، وهذا الأمر عينه كان بولس قد اعتنى أن يفعله.**

ج. *توبيخ بولس لبطرس* (٢: ١١-٢١)

٢: ١١ أمّا بالنسبة لردّ بولس، السادس والأخير، على الذين هاجموا رسوليّته، فقد أخبر كيف أنّه كان من الضروريّ له أن يوبّخ الرسول **بطرس** —الذي كان يُعتبر عند غالبيّة اليهود المسيحيين رئيسًا للرسل. (يدحض هذا المقطع بشكل قاطع اعتبار بطرس قائد الكنيسة المعصوم من الخطإ).

٢: ١٢ عندما أتى بطرس إلى أنطاكية كان **يأكل مع الأمم**، متمتّعًا بحريّته المسيحيّة، الأمر الذي لم يستطع فعله حسب التقليد اليهودي. ولكن في ما بعد **أتى قوم من عند يعقوب** من أورشليم في زيارة إلى أنطاكيّة وكانوا يدّعون تمثيل يعقوب الذي نفى هذا الأمر لاحقًا (أع١٥: ٢٤). وربّما كانوا من اليهود الذين كانوا ما يزالون متعلّقين ببعض الطقوس الناموسية. وعندما وصلوا توقّف بطرس عن مشاركة الأمم، خائفًا أن تصل أخبار تصرّفه هذا إلى الفريق الناموسي في أورشليم. وبفعله هذا، ناقض واحدة من أعظم حقائق الإنجيل، ألا وهي: أنّ المؤمنين جميعًا واحدٌ في المسيح يسوع، وأنّ الاختلافات القومية لا تؤثّر في الشركة المسيحية. يقول فندلي *Findlay*: "أثبت بطرس ضمنيًّا، برفضه أن يأكل مع رجال ذوي غلفة، أنّهم كانوا بالنسبة له ما يزالون «دنسين ونجسين» رغم كونهم مؤمنين بالمسيح، وأوحى أيضًا أنّ طقوس موسى تضفي على الإنسان قداسة أسمى من برّ الإيمان".

٢: ١٣ هذا وقد احتذى آخرون بمثال بطرس وبينهم **برنابا** شريك بولس العزيز في الخدمة. لذلك إذ أدرك بولس خطورة الموقف اتّهم بطرس **بالرّياء**، وتصف لنا الأعداد ١٤-٢١ توبيخ بولس لبطرس.

٢: ١٤ عرف بطرس، وهو المسيحي، أنّ الله لم يعد يميّز بين القوميات، فقد عاش كأمميّ وأكل من أكلهم...الخ. لكن عندما رفض مؤخّرًا أن يأكل مع الأمم، أوحى بأن بعض الممارسات الناموسية والعادات اليهودية ضرورية للقداسة، وأنّ على المؤمنين الأمميّين أن يعيشوا كاليهود.

٢: ١٥ يبدو كأنّ بولس هنا يستخدم السخرية الأدبية. ألم يُعبِّر تصرُّف بطرس عن الاعتقاد السائد بتفوّق اليهود مقارنةً بمركز الأمم المحتقَر؟ كان حَريًّا به أن يعرف أكثر من ذلك، إذ إنّ الله علّمه قبل اهتداء كرنيليوس الأمميّ أن لا يقول عن أحد ما «دنس أو نجس» (أع ١٠؛ ١١: ١-١٨).

٢: ١٦ لقد عرف اليهود المخلَّصون أنّه لا خلاص **بالناموس**، إذ قد حكم الناموس بالموت على كلّ الذين لا يطيعونه بالتمام. وأدّى هذا إلى حلول اللعنة على الجميع لأنّ الجميع كسروا أحكامه المقدّسة. ويظهر المخلِّص هنا بوصفه غرض الإيمان الوحيد. هذا ويذكّر بولس الرسولَ بطرس قائلاً ما معناه: "حتّى نحن اليهود استنتجنا أنّ الخلاص هو بالإيمان بالمسيح، لا بحفظ الناموس. فما معنى أن تُحاول يا بطرس الآن وضع الأمم تحت الناموس؟". فالناموس علّم الناس ما يجب عليهم فعله ولكن لم يعطهم قوّة للعمل، لأنّه أُعطي فقط ليُظهِر الخطية وليس ليكون مخلِّصًا منها.

٢: ١٧ نادى بولس وبطرس وآخرون معهما بالتبرير بالمسيح، وبالمسيح وحده. ومع ذلك فقد ظهرت تصرّفات بطرس في أنطاكية وكأنّها توحي بأنّه لم يتبرّر كليًّا بل كان عليه أن يرجع للناموس لتكميل خلاصه. وإن كان هذا صحيحًا، فعليه لا يكون المسيح مخلِّصًا كاملاً وكافيًا. لأنّنا إذا توجّهنا إليه للحصول على غفران الخطايا ثمّ التمسنا معونةً من مكان آخر أفلا يصبح المسيح عندئذ **خادمًا للخطيّة**، إذ يفشل في إتمام وعوده؟ لأنّه إن كنّا، ونحن ندّعي الاعتماد على المسيح طلبًا للتبرير، نرجع أيضًا إلى الناموس (الذي عملُه الوحيد أن يحكم علينا كخطاة)، فهل نتصرّف عندئذ كمسيحيين؟ هل نرجو أن يوافق المسيح على طريقة التصرّف هذه التي تجعله **خادمًا للخطيّة**؟ إنّ جواب بولس الساخط كان «**حاشا**»!

٢: ١٨ كان الرسول بطرس قد ترك كلّ النظام الناموسي من أجل الإيمان بالمسيح. ورفض أيضًا كلّ الفروقات بين اليهود والأمم بالنسبة للحصول على رضى الله. والآن، برفضه الأكل مع الأمم، كان يبني ما قد سبق فهدمه. وبفعله هذا يُظهِر نفسه **متعدِّيًا**. فإما كان مخطئًا بتركه الناموس لأجل المسيح، وإمّا يُخطئ الآن إذ يحاول ترك المسيح لأجل الناموس!

٢: ١٩ إنّ أجرة خرق الناموس هي الموت. وقد كسرتُ الناموس كخاطئ، لذلك فهو يحكم عليّ بالموت. ولكنّ المسيح دفع عنّي أجرة عصياني للناموس بموته بدلاً مني. وهكذا فعندما مات المسيح، مُتّ أنا. لقد مات المسيح للناموس، بمعنى أنّه وفي كلّ مطالبه المحقّة، لذلك في المسيح أنا نفسي أيضًا **مُتّ للناموس**.

والمسيحيّ قد مات **للناموس** ولم تَعُد لديه أية علاقة به. فهل يعني هذا أنّ المؤمن أصبح حرًّا ليكسر الوصايا العشر إذا أراد؟ كلا، فهو يعيش حياةً مقدّسة ليس خوفًا من الناموس بل محبةً بالذي مات لأجله. والمسيحيون الذين يريدون أن يعيشوا تحت الناموس لا يدركون أنّ هذا التصرّف يضعهم تحت لعنة الناموس أيضًا. ثمّ إنّهم لا يستطيعون أن يتناولوا الناموس في عُنصرٍ واحد منه دون أن يصيروا مُلزَمين حِفظَه كاملاً. لذلك يُعتبر موتنا للناموس الطريق الوحيد الذي نستطيع فيه أن **نحيا لله**. لم يقدر الناموس قطّ أن ينتج حياة مقدسة، كما أن الله لم يقصد من جهته أن يفعل كذلك. وأمّا طريق الله للقداسة فمشروح في العدد ٢٠.

٢: ٢٠ لقد اتّحد المؤمن مع المسيح في موته، لأنّ المسيح لم يُصلَب وحده في الجلجثة، بل أنا أيضًا صُلِبت هناك في المسيح. ومعنى ذلك أنّي انتهيت بوصفي خاطئًا في نظر الله. ويعني ذلك أيضًا أنّي انتهيت بصفتي إنسانًا يسعى ليستحقّ الخلاص أو يحصل عليه بواسطة الأعمال. وهذا يعني نهايتي كابنٍ لآدم، وكإنسان تحت حكم الناموس، ونهاية طبيعتي القديمة الخاطئة. لقد صُلِبَت "الأنا" الشرّيرة القديمة، وليس لديها بعد أيّ حق عليّ في حياتي اليوميّة. هذا صحيح بالنسبة لمقامي أمام الله، لكن ينبغي أن يكون صحيحًا بالنسبة لسلوكي أيضًا

هذا وإنّ المؤمن لا يتوقّف عن الحياة كفرد ذي شخصيّة معيّنة، لكنّ الذي مات بنظر الله هو غير الشخص الذي يحيا الآن. «**فأحيا لا أنا، بل المسيح** (هو الذي) **يحيا فيّ**». لم يمت المخلّص لأجلي حتّى أذهب بعد ذلك وأعيش الحياة التي تحلو لي. لقد مات لأجلي لكي يستطيع بعدها أن يحيا حياته فيّ. **فما أحياه الآن في الجسد** (جسمي البشري) **فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله**. والإيمان يعني الاتّكال والثقة، فالمسيحي يعيش باتّكال مستمرّ على المسيح، خاضعًا له ومفسحًا له في المجال ليحيا حياته فيه.

وهكذا فإنّ المسيح، لا الناموس، هو قانون حياة المؤمن. وليس الموضوع مسألة جهاد بل مسألة إيمان. فالمؤمن يحيا حياة قداسة، ليس خوفًا من القصاص بل محبّة بابن الله الذي أحبه **وأسلم نفسه** لأجله.

هل حدث أن رفعتَ قلبك بالصلاة للربّ يسوع مسلّمًا حياتك له طالبًا أن تتجلّى حياة المسيح في جسدك؟

٢: ٢١ نرى نعمة الله ظاهرةً في عطيّته غير المشروطة للخلاص. لذلك عندما يحاول الإنسان أن يكسب هذا الخلاص كسبًا فإنّما هو يعطّل العطيّة، إذ لا تعود النعمة هي المصدر إن كان الإنسان يستحقّ الخلاص أو يستطيع إكتسابه. فلو استطاع بطرس أن ينال رضًى من الله بواسطة ممارساته اليهوديّة لكان المسيح إذ ذاك **قد مات بلا سبب** (بغير داعٍ) ولكان قد أضاع حياته باذلاً إيّاها بلا معنى. ولكنّ المسيح قد مات لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يحصل على برّ بطريقة أخرى أبدًا، ولا بحفظه للناموس طبعًا.

قال كلُو *Clow*:

> يُعتبر الخلاص بالأعمال أكبر هرطقة على الإطلاق تُفسد الكنائس وتملأ التعاليم بخمير الضلال وتنفخ القلوب بالكبرياء. ويقول رَسكين *John Ruskin*: "إنّي أومن أنّ أصل كل الانشقاقات والهرطقات التي عانت ويلاتها الكنيسة المسيحية هو الاجتهاد للحصول على الخلاص عوضًا عن قبوله بالإيمان؛ وأنّ السبب الوحيد الذي جعل الكرازة غير فعّالة هو أنّها غالبًا ما تدعو الناس لأن يعملوا من أجل الله بدل دعوتهم لمراقبة الله وهو يعمل لأجلهم".

٢ـ قسم تعليميّ: دفاع بولس عن التبرير بالإيمان (٣: ١-٥: ١)

أ. حقّ الإنجيل العظيم (٣: ١ـ٩)

٣: ١ لقد دلّت تصرّفات الغلاطيين على نقصٍ في الفهم والإدراك. فالانتقال من النعمة إلى الناموس هو بمثابة الانخداع **برُقى** السحر والشعوذة، بحيث يُقبَل عمل الضلال على أنّه الحقّ دون أن يُدرى. وعندما يسأل بولس قائلاً: «**من رقاكم؟**»، يستخدم "مَن" في المفرد

(باليوناني: تيس *tis*)، وليس في الجمع، وربّما كان هذا إشارة إلى أنّ الشيطان هو مصدر هذا التعليم الخاطئ. لقد بشّر بولس نفسه للغلاطيّين **بالمسيح يسوع مصلوبًا**، مشدّدًا على أنّ الصليب يحرّرهم إلى الأبد من لعنة الناموس وعبوديته. فكيف يرجعون إلى الناموس محتقرين الصليب؟ ألم يسيطر حقّ الإنجيل على حياتهم العملية؟

٣: ٢ من شأن سؤال واحد أن يحلّ القضية كلها. فليرجعوا إلى الماضي، إلى وقت إهتدائهم، عندما جاء الروح القدس ليسكن في أجسادهم: كيف أخذوا الروح حينذاك؟ أبالأعمال أم بالإيمان؟ بالإيمان طبعًا، إذ لم يقبل أحد قطّ الروح **بحفظه الناموس**.

٣: ٣ هل يستطيع الغلاطيّون أن ينموا في القداسة والنضج المسيحي بواسطة الناموس في حين أنّهم لم يتمكّنوا من الحصول على الخلاص عن طريق الأعمال؟ وما دامت قوة الروح ضرورية لخلاصهم فهل يستطيعون أن يكمّلوا بواسطة المجهودات الجسديّة؟

٣: ٤ عندما آمن الغلاطيون بالمسيح في بادئ الأمر، عرّضوا أنفسهم لاضطهادات مريرة ربما حدثت جزئيًّا على أيدي بعض اليهود المتعصّبين الذين كانوا يكرهون إنجيل النعمة. فهل كان تألّمهم **عبثًا**؟ ألا يظهرون بعودتهم إلى الناموس وكأنّهم يقولون إنّ مضطهديهم كانوا على حق؟ **إن كان عبثًا**: هنا يعبّر بولس عن استمرار أمله بعودتهم إلى الإنجيل الذي تألّموا لأجله مرّة.

٣: ٥ يوجد التباس بالنسبة للفاعل الذي يعود إليه الفعل «**يمنحكم**»، فهو ربّما كان يشير إلى الله أو إلى بولس، أو إلى آخر كان يخدم الغلاطيين في زمن كتابة هذه الرسالة. يجب أن يعود الفعل أساسًا إلى الله لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يعطي الروح القدس. ومع ذلك، قد يعود الفعل، بشكل ثانوي، إلى خادم مسيحي استخدمه الله كأداة لإتمام مشيئته. وبذلك تعطينا هذه الآية نظرة مجيدة للخدمة المسيحيّة. قال أحدهم: "الخدمة المسيحيّة الحقيقيّة في أشكالها المختلفة هي عمليّة نقل الروح القدس للآخرين: وهي، في الواقع عملية منح الروح".

فإن كان الرسول يتكلّم عن نفسه في هذا العدد، فهو على الأغلب يفكّر في العجائب التي رافقت كرازته وقبولهم للمسيح (عب٢: ٤). لكنّ زمن الفعل يشير لا إلى شيء حصل في الماضي، بل إلى شيء كان ما يزال يحصل في زمن كتابة الرسالة. ومن الجائز أن تكون الإشارة هنا إلى المواهب المعجزيّة التي كان الروح القدس يعطيها للمؤمنين بعد إهتدائهم. كما ذُكر في كورنثوس الأولى ١٢: ٨-١١.

أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟ والجواب هو: **بخبر الإيمان**، لأنّ سكنى الروح القدس وعمله اللاحق في المؤمن هما من الأمور لا يمكن إكتسابها ولا إستحقاقها أبدًا، بل إنّها تُعطى دائمًا بالنعمة وتُقبل **بالإيمان**. وهكذا فلا بدّ أن يكون الغلاطيون قد أدركوا، من إختباراتهم الخاصة، أن البركة لا تأتي من طريق حفظ الناموس بل بالإيمان.

ويتوجّه بولس، في حجّته الثانية، إلى الكتاب الذي كان المعلّمون الكذبة يستعملونه لكي يُظهروا ضرورة الختان! فماذا قال العهد القديم حقيقةً؟

٣: ٦ لقد برهن بولس أنّ معاملات الله مع الغلاطيين كانت بجملتها قائمة على أساس الإيمان. وهو يبرهن الآن أنّه، حتى في العهد القديم، كان الخلاص على هذا الأساس عينه. والسؤال في العدد ٥ كان: «أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟»، والجواب الطبيعي كان: «بخبر الإيمان». ويبدأ العدد ٦ من هذه الحقيقة بالذات فيقول، **كما آمن إبراهيم**... فهو تبرّر بالطريقة نفسها، أي بخبر الإيمان.

ربّما كان المعلّمون اليهود يعتبرون إبراهيم بطلاً ومثالاً لهم، وهم يستندون في مناداتهم بضرورة الختان على اختباره الخاص (تك١٧: ٢٤، ٢٦). ففي هذه الحال يحاربهم بولس بسلاحهم الخاص. كيف حصل إبراهيم على الخلاص؟ **آمن إبراهيم بالله**. لم يكن الأمر بواسطة أيّ عمل استحقاقيّ، إذ آمن بالله بكلّ بساطة. ولا يمكننا أن ننسب أيّ فضل في ذلك لأحد. ففي الواقع أنّ الإنسان الذي لا يؤمن بالله هو إنسان مستهتر. والإيمان بالله هو الشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يعمله بالنسبة للخلاص، وهذا لا يترك أيّ مجال للفخر. فالإيمان ليس "عملاً صالحًا" يتطلّب مجهودًا بشريًّا؛ لأنّه أيضًا لا يُعطي مكانًا للجسد. فأيّ شيء أصحّ من أن يثق المخلوق بالخالق أو الابن بأبيه؟

والتبرير هو عمل الله الذي يُعلن فيه أنّ كلّ الذين يؤمنون به هم أبرار. ويستطيع الله أن يعامل الخطاة بهذه الطريقة لأنّ المسيح مات بديلاً عنهم على صليب الجلجثة دافعًا أجرة خطاياهم. ولا يعني التبرير أنّ الله يصنع من المؤمن إنسانًا بارًّا بلا خطية في ذاته. فهو يحسبه بارًّا على أساس عمل المخلّص. والله يعطي الخاطئ الذي وضع ثقته فيه، مقام برارة يؤهّله للسماء، ويتوقّع منه في المقابل أن يعيش بارًّا شاكرًا لما قد صنعه الله معه. والأمر الرئيسي الذي تجب ملاحظته هنا هو أنّ التبرير لا علاقة له بحفظ الناموس، فهو يقوم كليًّا على أساس الإيمان.

٣: ٧ كان المعلّمون الغلاطيون يقولون إنّه يجب على الغلاطيين أن يختتنوا لكي يصبحوا بالحقيقة أولادًا لإبراهيم. هذا ما رفضه بولس، فبنو إبراهيم هم الذين حصلوا على الخلاص بالإيمان وليس مَن وُلدوا يهودًا أو تهوّدوا. ويبيّن بولس في رومية ٤: ١٠، ١١ أنّ إبراهيم حُسب بارًّا قبل الختان؛ وبكلام آخر، لقد تبرّر وهو بعد بمثابة أمميّ.

٣: ٨ يصف لنا هذا العدد العهد القديم وكأنّه نبيّ ينظر عدة قرون إلى الأمام فيرى أن **الله يبرر الأمم كما اليهود أيضًا** على مبدإ الإيمان. وما سبق العهد القديم فرأى **بركة الأمم** فقط، بل أعلنها أيضًا لإبراهيم إذ قال له: «وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» (تك١٢: ٣).

قد نستصعب في البداية ونحن نقرأ هذا العدد من سفر التكوين، أن نرى كيف وجد فيه بولس هذا المعنى. ومع هذا فإنّ الروح القدس، إذ كتب هذه الآية في العهد القديم، عرف أنّها تحتوي على إنجيل الخلاص بالإيمان لجميع الأمم. ولقد استطاع بولس أن يشرح المعنى الضمنيّ لهذه الآية لأنّه يكتب بوحي الروح القدس ذاته: **فيك**: أي مع إبراهيم بالطريقة نفسها كإبراهيم. **وجميع الأمم** تعني الأمم واليهود على السواء. **تتبارك**: أي ستُخلّص. لكن كيف خلص إبراهيم؟ بالإيمان. وكيف ستخلص الأمم؟ بالطريقة نفسها مثل إبراهيم: بالإيمان. وعلاوة على ذلك لا ضرورة لأن يصبح الأمم يهودًا لكي يخلصوا.

٣: ٩ بحسب شهادة الكتاب، يُعتبر كلّ **الذين** يمارسون **الإيمان** بالله أبرارًا مع **إبراهيم المؤمن**.

ب. بين الناموس والوعد (٣: ١٠-١٨)

٣: ١٠ يبيّن بولس، من الكتاب المقدس، أنّ الناموس يُنتج **لعنة لا بركة**. ولا تقول هذه الآية: "جميع الذين كسروا الناموس"، بل «**جميع الذين هم من أعمال الناموس**»، أي كلّ الذين يحاولون إرضاء الله على أساس إطاعة الناموس. **إنّهم تحت لعنة**، أي محكوم عليهم بالموت، لأنّه مكتوب (في تث٢٧: ٢٦): «ملعون من لا يُقيم (يثبت في – حسب الأصل) كلمات هذا الناموس ليعمل بها»؛ إذ لا يكفي حفظ الناموس ليوم أو شهر أو سنة، بل يجب أن **يثبت** الإنسان في حفظه، يجب أن يحفظه تمامًا. ولا يكفي فقط حفظ الوصايا العشر، بل ينبغي أيضًا حفظ فرائض موسى في الأسفار الخمسة بأكملها، وهي وصايا تتعدّى الست مئة!

٣: ١١ يدحض بولس مرة أخرى ادّعاءات المعلّمين الكذبة مقتبسًا من العهد القديم، فيستشهد بالنبي حبقوق ليبيّن أنّ الله برّر دائمًا الناس **بالإيمان** وليس بالناموس. ويتّفق الأصل اليوناني مع الترجمة العربية في ترتيب الكلمات فنقرأ: «البارّ بالإيمان، يحيا». وبكلام آخر، إنّ الذين حُسبوا أبرارًا، بالإيمان لا بالأعمال، سينالون الحياة الأبدية. فالذين تبرّروا بالإيمان سيحيون.

٣: ١٢ لكنّ الناموس لا يطلب من الناس أن يؤمنوا. ولا يطلب منهم أن يحفظوا الوصايا أيضًا. فهو يدعو إلى طاعة شديدة وكاملة وتامّة كما علّم سفر اللاويّين بالضبط. والناموس يعاكس مبدأ الإيمان تمامًا، فهو يقول: "اعمل فتحيا"، وأمّا الإيمان فيقول: "آمن فتحيا". وهكذا تكون حجّة بولس كالتالي: البارّ يحيا بالإيمان؛ ولكنّ الإنسان الذي تحت **الناموس لا يحيا بالإيمان**، لذلك لا يُحسب بارًّا أمام الله. وعندما يقول بولس: «**الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها**» فإنما يقدّم افتراضًا نظريًّا، أو مثالاً لا يستطيع أحد أن يتوصّل إليه.

٣: ١٣ الافتداء هو إعادة الشراء، أو التحرير بدفع الثمن. **ولعنة الناموس** هي الموت، الذي هو أجرة كسر الوصايا. فقد حرّر المسيح الذين تحت الناموس من عقوبة الموت التي يطالب بها الناموس. (يتكلم بولس بغير شك عن المؤمنين اليهود بشكل رئيسيّ عندما يستعمل الضمير "نحن"، مع العلم بأن اليهود كانوا عيّنة تمثّل الجنس البشري بأكمله).

يقول سندلان جونس *Cyndylan Jones*:

> تخيّل الغلاطيون أنّ المسيح اشتراهم جزئيًّا فقط، وأنّه كان عليهم شراء ما تبقّى بخضوعهم للختان وللطقوس والممارسات اليهودية الأخرى. هذا ما سبّب استعدادهم للذهاب وراء معلّمين كذبة ولأن يخلطوا المسيحية باليهودية. ويقول بولس هنا: (حسب الترجمة الويلزيّة) «المسيح اشترانا كليًّا من لعنة الناموس».

لقد **افتدى المسيح** البشر بموته مكانهم محتملاً غضب الله المخيف على الخطايا. وقد وقعت لعنة الله عليه بصفته بديلَ الإنسان. لم يصِر المسيح خاطئًا في ذاته، بل إنّ خطايا الإنسان وُضعت عليه.

ولم يفتدِ المسيح الناس من **لعنة الناموس** بحفظه للوصايا العشر تمامًا خلال حياته، فالكتاب لا يعلّمنا بأنّ طاعته الكاملة للناموس محسوبة لنا. بل بالحري إنّه خلّص الناس من الناموس إذ حمل بموته لعنة الناموس المخيفة. ولقد علّم الناموس أن تعليق المجرمين المذنبين على خشبة (حرفيًّا: شجرة) كان علامة على كونهم تحت لعنة الله (تث ٢١: ٢٣). ويرينا الروح القدس في ذلك

المقطع نبوّة عن الطريقة التي كان سيموت فيها المخلّص حاملاً لعنة خلائقه. فلقد عُلّق بين الأرض والسماء كمن لا يستحقّ أيًّا منهما؛ وقيل عنه إنّه «عُلّق على خشبة»، إذ مات مصلوبًا (أع٥: ٣٠؛ ١بط٢: ٢٤).

٣: ١٤ لقد وعد الله أن يبارك إبراهيم وأن يبارك به كلّ العالم. **وبركة إبراهيم** الحقيقية هي الخلاص بالنعمة بواسطة الإيمان. ففي البداية يجب دفع أجرة الموت المقرّرة عند الله. لذلك جُعل المسيح لعنةً لكي يمتدّ خلاص الله بالنعمة إلى اليهود والأمم على السواء. وهكذا في المسيح (نسلِ إبراهيم) تتبارك شعوب الأرض.

إنّ وعد الله لإبراهيم في تكوين ١٢: ٣ لا يأتي على ذكر الروح القدس. لكنّ بولس يخبرنا هنا، بوحي من الله، أنّ عطيّة الروح القدس كانت مُتضمّنة في عهد الله غير المشروط للخلاص، العهد الذي قطعه مع إبراهيم؛ لكنّ هذه العطيّة كانت مخبوءةً هناك. ولم يكن ممكنًا للروح القدس أن يأتي ما دام الناموس قائمًا، فقد كان على المسيح أن يموت ويتمجّد قبل إعطاء الروح (يو١٦: ٧).

لقد برهن الرسول بولس أنّ الخلاص هو بالإيمان وليس بالناموس، وذلك بواسطة: (١) اختبار الغلاطيين، (٢) شهادة الكتاب في العهد القديم. وهو يتوجّه الآن إلى توضيحٍ عمليّ من الحياة اليومية.

تتلخّص حجّة بولس في هذا الجزء كما يلي: وعد الله (في تك١٢: ٣) أن يبارك كلّ قبائل الأرض في إبراهيم. ويشمل وعد الخلاص هذا الأمم واليهود على السواء. وفي تكوين٢٢: ١٨، وعد الله إبراهيم مرّة أخرى قائلاً، «ويتبارك في **نسلك** جميع أمم الأرض». لقد قال "نسل" (مفرد) وليس "أنسال" (جمع). وفي هذا إشارة من الله إلى شخص واحد، هو الرب يسوع المسيح الذي كان من نسل إبراهيم مباشرة (لو٣: ٣٤). وبكلام آخر، لقد وعد الله أن يبارك الشعوب جميعها، يهودًا وأمميّين على السواء، في المسيح؛ وكان هذا الوعد وعدًا غير مشروط، لا يتطلّب أعمالاً صالحة ولا إطاعة للناموس بل كان وعدًا بسيطًا يتمّ نواله بالإيمان وحده.

ثمّ إنّ الناموس الذي أُعطي لإسرائيل بعد ٤٣٠ سنة، لم يستطع أن يزيد شروطًا على العهد ولا أن ينتقص من محتواه بأيّ شكل من الأشكال. لأنّ هذا في معاملات البشر أمر معيب؛ وأمّا في معاملات الله فإنه أمر لا يُعقل. فالنتيجة إذًا هي أنّ وعد الله بالبركة للأمم هو في المسيح، بالإيمان وليس بحفظ الناموس.

٣: ١٥ متى تمّ توقيع وختم معاهدة ما بين البشر، فالعادة السائدة هي ألاّ يُنقض العهد بتغيير شيء فيه أو زيادة شيء عليه. فإذا كانت المعاهدات البشرية غير قابلة للكسر فكم بالحري تكون الإلهية.

٣: ١٦ لقد حاجّ دعاة التهوّد ولا شكّ قائلين إنّه على الرغم من إعطاء المواعيد في البداية لإبراهيم ولنسله (أي أمّة العهد القديم) بالإيمان، فإنّ الشعب اليهودي نفسه وُضع لاحقًا تحت الناموس. لذلك يجب على الغلاطيين الآن أن يحفظوا الوصايا العشر، رغم كونهم أصلاً قد حصلوا على الخلاص بالإيمان. ويجاوب بولس قائلاً: **وأمّا المواعيد فقد وُجّهت لإبراهيم ولنسله** (بالمفرد). قد تشير الكلمة «**نسل**» أحيانًا إلى كثيرين. لكنّها هنا مستخدمة للإشارة إلى شخصٍ واحد هو المسيح. (ربما لا نرى هذا المعنى أبدًا في قراءتنا للعهد القديم، ولكنّ الروح القدس ينير أذهاننا).

٣: ١٧ كان وعد الله لإبراهيم وعدًا غير مشروط، إذ لم يرتبط بالأعمال على الإطلاق. فالله وافق، بكلّ بساطة، أن يُعطي إبراهيم نسلاً (هو المسيح). وقد آمن إبراهيم بالله رغم كونه بلا أولاد، وحُسب ذلك له برًّا إذ آمن، بهذه الطريق، بالمسيح الآتي أيضًا. هذا وإنّ الناموس، الذي جاء **بعد أربع مئة وثلاثين سنة**، لا يؤثّر في الوعد بأيّ شكل من الأشكال، فهو لا يستطيع إلغاءه ولا زيادة أيّة شروط عليه.

ربما كان أنصار التهوّد يدّعون بأنّ الناموس الذي جاء بعد ٤٣٠ سنة من الوعد يُبطل مفعول هذا الأخير. وفحوى جواب بولس لهم: "كلاّ البتّة، ففي الواقع، كان الوعد بمثابة وصيّة صُدِّقت بالموت (ذبيحة العهد، تكوين ١٥: ٧-١١؛ انظر أيضًا عبرانيين ٩: ١٥-٢٢). ولا يُمكن أن يُلغى".

يبدو أن السنين الأربعمئة والثلاثين قد حُسبت من الوقت الذي فيه ثبّت الله العهد الإبراهيمي ليعقوب، عندما كان هذا الأخير يستعدّ للدخول إلى مصر (تك٤٦: ١-٤)؛ وتمتدّ هذه السنون حتى زمن إعطاء الناموس لإسرائيل بعد ثلاثة أشهر من وقت خروجهم من مصر.

٣: ١٨ يجب أن يكون **الميراث** إمّا بالأعمال وإمّا بالإيمان، لأنّه لا يمكن أن يكون بكليهما. فالكتاب يعلن صراحةً أن الميراث أُعطيَ لإبراهيم بوعد غير مشروط، وهكذا الحال بالنسبة للخلاص أيضًا. فالخلاص يُقدَّم كعطيّة غير مشروطة، وفكرة الأعمال مُستثناة تمامًا.

ج. *غاية الناموس* (٣: ١٩-٢٩)

٣: ١٩ فلماذا الناموس إذًا؟ ما هي غاية الناموس إن كان، بحسب قول بولس، لا يُبطل الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم كما لا يزيد عليه شيئًا؟ لقد كان القصد أن يُظهِر الناموس الخطية على حقيقتها، بوصفها تعدّيًا. كانت الخطية قد وُجدت قبل الناموس، لكنّ الإنسان لم يعرفها على أنّها تعدٍّ قبلما جاء الناموس. والتعدّي هو خرقٌ لقانون معروف.

لقد أُعطي الناموس لأمّة خطاة، ولم يحصلوا البتّة على التبرير من طريق حفظهم له، لأنّه لم تكن لديهم القوة لإطاعته. فالقصد من وراء الناموس كان أن يُظهر للناس حالتهم التّعسة بوصفهم خطاةً، لكي يستنجدوا بالله حتى يخلّصهم بنعمته. وكان عهد الله مع إبراهيم وعدًا بالبركة دونما شروط. وأمّا الناموس فلم يُنتج سوى اللعنة، لأنه برهن عدم استحقاق الإنسان للحصول على البركة المجّانية غير المشروطة. فإن كان حصول الإنسان على البركة ضروريًّا فينبغي أن يكون بنعمة الله فقط.

و«**النسل**» هنا هو المسيح. لذلك أُعطي الناموس كتدبير وقتي حتى مجيء المسيح؛ وكان يجب أن تأتي على يد المسيح بركة إبراهيم الموعود بها. ثم إنّ الاتفاق بين طرفين يتطلّب **وسيطًا**. فالناموس تطلّب طرفين لعقد الإتفاقية، هما الله والشعب القديم. ولقد خدم موسى كوسيط (تث٥: ٥)، وكان الملائكة رسل الله الذين سلّموا الناموس لموسى (تث٣٣: ٢؛ مز٦٨: ١٧؛ أع٧: ٥٣؛ عب٢: ٢). ويبيّن لنا اشتراك موسى مع الملائكة المسافةَ الموجودة بين الله وشعبه غير المؤهّل للوجود في حضرته.

٣: ٢٠ لو كانت الاتفاقية من طرف وحيد قد أعطى وعدًا غير مشروط، ولم يتطلّب أي شيء من الطرف الآخر، لما كانت حاجةٌ إلى وسيط. ولكن بما أن الناموس تطلّب وجود وسيط، فهذا يعني أنّ على الإنسان أن يؤدّي دوره في الإتفاقية. هنا يكمن ضعف الناموس. لأنّه دعا للطاعة أناسًا لا قوة لهم لإتمامها. لكن عندما أعطى الله وعده لإبراهيم كان هو الطرف الوحيد في المعاهدة. هنا تكمن قوّة الوعد الإبراهيمي: أنّ كلّ شيء يعتمد على الله ولا يعتمد أيّ شيء على الإنسان، ولم يتدخّل وسيطٌ ما؛ إذ لم تكن حاجةٌ إليه*.

٣: ٢١ فهل وضع الناموسُ مواعيد الله جانبًا، أو هل حلّ محلّها؟ حاشا! فلو أمكن إعطاء ناموس يستطيع الخطاة بواسطته أن يتوصّلوا للكمال المطلوب من الله لكان الخلاص بالحقيقة من طريق حفظ الناموس. لأنّ الله لم يكن ليرسل ابن محبته ليموت عن الخطاة لو كان بالإمكان تحقيق النتيجة عينها بطريقة أقلّ كُلفة. لكن توافر للناموس زمنٌ وعددٌ من الناس كافيان ليظهر عجزه عن تخليص الخطاة. بهذا المعنى «كان ضعيفًا بالجسد» (رو٨: ٣). وكلّ ما استطاع الناموس أن يفعله هو أن يُري الناس فشلهم ليُقنعهم أنّ الخلاص ممكن فقط من طريق نعمة الله المجّانية وليس غير.

٣: ٢٢ أظهر العهد القديم أنّ جميع البشر خطاة، بمن فيهم الذين تحت الناموس. وكان يلزم إقناع الإنسان، على نحو كامل، بأنه خاطي لكي يُعطى الذين يؤمنون الوَعدَ بالخلاص بواسطة الإيمان بيسوع المسيح. والكلمات الرئيسيّة في العدد ٢٢ هي: «إيمان»، «يُعطى»، «يؤمنون»؛ ولا ذكر للكلمات: "عمل" أو "حفظ الناموس" على الإطلاق.

٣: ٢٣ إنّ المقصود بالإيمان في هذه الآية هو الإيمان المسيحي. وهو يشير إلى العصر الذي أدخله موتُ الربّ يسوع ودفنه وقيامته وصعوده، والكرازةُ بالإنجيل في يوم الخمسين. قبل ذلك الوقت كان اليهود محروسين وكأنّهم في سجن أو في عهدة أوصياء. كانت مطاليب الناموس تحاصرهم من كلّ جهة، وإذ لم يستطيعوا تلبيتها اقتصر طريق خلاصهم على الإيمان فقط لا غير. لذلك كان الشعب الذي تحت الناموس محجوزًا إلى أن أُعلنت أخبار الإنجيل المجيدة بالخلاص من قيود الناموس.

٣: ٢٤ يُصوَّر الناموس هنا كحارس ومرشد للأولاد أو كمؤدّب. وهذا يؤكّد فكرة التعليم، لأنّ الناموس علّم دروسًا عن قداسة الله وشرّ الإنسان والحاجة إلى التكفير. والكلمة مؤدّب مستخدمةٌ هنا للدلالة على الشخص الذي يقوم بالتأديب والرقابة العامة على الصغار أو القاصرين.

تزيد بعض الترجمات كلمة "ليوصلنا" (إلى المسيح) غير الموجودة في الأصل اليوناني. والترجمة العربية هنا أمينة لحرفية النص الأصلي فهي تقول «مؤدّبنا

---

* لا تناقضَ بين ما يردُ هنا والحديث عن المسيح بوصفه وسيط العهد الجديد (عب٩: ١٥). فالكلمة "وسيط" تُستعمل بمعنيين مختلفين في الموضعين. فقد كان دور موسى كوسيط قاصرًا على تسلُّم العهد من الله وتسليمه للشعب. غير أنّ المسيح هو وسيطُ العهد الجديد بمعنى أسمى وأشمل. فقد كان لازمًا أن يموت الربّ يسوع قبل استفادة المؤمنين من بركات العهد. وموتُ الموصي يجعل وصيّته سارية المفعول. لذا فقد خُتم العهد الجديد بدم المسيح الذي «بذل نفسه فديةً لأجل الجميع» (١تي٢: ٦). ولا يقتصر عمل المسيح على تحقيق بركات العهد لشعبه، بل يتجاوز ذلك إلى حفظ شعب العهد في عالمٍ مُعادٍ لهم؛ الأمر الذي يقوم به - له المجد - بوصفه رئيسَ الكهنة والشفيع؛ وهذا جزء من عمله كوسيط.

الكلمة اليونانية المستخدمة "بيداجوجي *paidagōgos*" تعني حرفيًا "قائد أو مرشد للأطفال". وكان من يتولى تلك الوظيفة، وهو في الأغلب من العبيد، يراقب ذهاب الأطفال إلى المدرسة وعودتهم منها، وفي بعض الأحيان كان يعلِّم أيضًا.

إلى المسيح». والمقصود هنا أنّ الناموس كان مربّيًا يهوديًّا إلى المسيح أي حتى مجيء المسيح، أو بانتظار مجيء المسيح. فالناموس، على وجه ما، قد حفظ الشعب القديم كأمّة مميّزة من طريق الترتيبات المتعلّقة مثلاً بالزواج والملكيّة والمآكولات إلخ. وعندما جاء **الإيمان** أُعلن أولاً لهذه الأمّة التي حُفظت محروسة على مدى قرون. وقد كان وعد التبرير **بالإيمان** على أساس العمل الكامل الذي أنجزه المسيح الفادي.

٣: ٢٥ الناموس هو **المؤدّب**. لكن متى قَبِل اليهود الإيمان المسيحي لا يعودون بعد تحت الناموس. فكم بالحري لا يكون الأمم تحت الناموس، كالغلاطيين الذين لم يكونوا قطُّ تحت المؤدِّب! يعلّمنا العدد ٢٤ أنّ الإنسان لا يتبرّر بالناموس؛ ويعلّمنا العدد ٢٥ أنّ الناموس ليس قاعدة حياة الإنسان الذي حصل على التبرير.

٣: ٢٦ لنلاحظ تغيير الضمائر هنا، من "نحن" إلى «**أنتم**». فقد أظهر بولس في حديثه عن اليهود بالضمير "نحن" أنّهم كانوا محفوظين تحت الناموس حتى مجيء المسيح. لقد حافظ الناموس عليهم كشعب منفصل لكي يُكرَز لهم برسالة التبرير بالإيمان. وعندما تبرّر مَن آمنوا منهم لم يعودوا تحت الناموس، وبطلت ميزتهم الخاصة من حيث كونهم يهودًا. ويشمل الضمير "أنتم"، بدءًا من هنا حتى نهاية الأصحاح، المخلّصين من اليهود والأمم معًا، فجميع هؤلاء المخلّصين هم **أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح**.

٣: ٢٧ تُعتبر معموديّة الماء اعترافًا باتّحادٍ مع المسيح يحصل لحظة حصول الولادة الجديدة. ولا تجعل هذه المعمودية الإنسان عضوًا في جسد المسيح أو وارثًا لملكوت الله. إنّما هي اتحاد علنيّ بالمسيح يتكلم عنه بولس بالعبارة «**لبستم المسيح**». وكما يعلن الجنديّ نفسه عضوًا في الجيش إذ يلبس بزّته العسكرية، هكذا بالضبط يعلن المؤمن هويّته الشخصية كواحد من خاصة المسيح إذ **يعتمد** بالماء. وبهذا العمل يُعبِّر علانية عن خضوعه لقيادة المسيح وسلطانه، ويبرز بوضوح أنّه ابنُ الله.

يقينًا أنّ الرسول بولس لا يعني هنا أنّ معمودية الماء تجعل الإنسان متّحدًا بالمسيح، لأنّ هذا يصبح نفيًا قاطعًا لتعليمه الأساسي أنّ الخلاص هو بالإيمان وحده.

ومن المرجّح أنّ بولس لا يشير هنا إلى معمودية الروح التي بها يصير المؤمن عضوًا في جسد المسيح (١كو١٢: ١٣). فمعمودية الروح القدس غير مرئيّة ولا شيء فيها يتواقع مع "لبس المسيح" علنيًّا. ثم إنّ هذه المعمودية هي «للمسيح»، وكما اعتمد العبرانيّون قديمًا لموسى إذ اتّحدوا به في قيادته لهم، كذلك أيضًا يعتمد المؤمنون اليوم «**للمسيح**» دلالة على الاعتراف به ربًّا لهم شرعيًّا.

ويعبِّر المؤمن أيضًا بالمعمودية عن دفن الجسد ومجهوداته في الحصول على البرّ، وهو يشير إلى إنتهاء أسلوب الحياة القديم وبداية الأسلوب الجديد. هذا، وقد اعترف الغلاطيون، بواسطة إعتمادهم بالماء، أنّهم ماتوا مع المسيح ودُفنوا أيضًا معه؛ وكما مات المسيح بالنسبة للناموس كذلك ماتوا هم أيضًا بالنسبة للناموس، وبالتالي عليهم ألاّ يطلبوا أن يكونوا تحته باعتباره قانونًا لحياتهم. وكما أبطل المسيح بموته التمييز بين اليهود والأمم، هكذا أيضًا مات الغلاطيون بالنسبة إلى الفروقات القومية هذه، فلقد «لبسوا المسيح» بمعنى أنّهم يعيشون الآن حياة جديدة بالتمام، ألا وهي حياة المسيح.

٣: ٢٨ لقد فرّق الناموس بين هذه الفئات المختلفة؛ فعلى سبيل المثل، تُشدّد الآيات الموجودة في تثنية ٧: ٦ ؛ ١٤: ١، ٢، على التمييز بين اليهود والأمم. هذا وإنّ الرجل اليهودي كان يشكر الله في صلاته الصباحية على أنّه لم يخلقه أمميًّا أو عبدًا أو امرأةً. لكن «في المسيح يسوع» تخفي هذه الفروقات بالنسبة لمسألة القبول لدى الله. فاليهودي غير مُفضّل على الأممي، ولا أفضليّة كذلك للحرّ على العبد، ولا يُعطى أيضًا الرجلُ مقامًا أرفع من المرأة. فبما أنّهم جميعًا «في المسيح»، فلذلك هم جميعًا على المستوى نفسه.

لكن علينا ألاّ نحمّل هذه الآية معنًى لا تقوله بالحقيقة. فالله يؤكّد الفروقات بين الرجل والمرأة في الحياة اليومية (وفي خدمة الكنيسة العلنيّة، بغير شكّ)، إذ يحتوي العهد الجديد على تعليمات معطاة لكليهما؛ كما أنه يتكلّم أيضًا للعبيد بشكل منفصل عن السادة. وأمّا بالنسبة للحصول على البركة من الله، فهذه الأشياء لا تؤثّر أبدًا، لأنّ الأمر الأساسيّ الذي يهمّ هو أن نكون «في المسيح يسوع». (وهذا يشير إلى مقامنا السماوي وليس إلى حالتنا الأرضية). فأمام الله، ليس المؤمن اليهودي أعلى مرتبة، بأيّ شكل من الأشكال، من الوثني الذي آمن بالله! يقول غوفيت *Govett*: "إنّ كل الفروقات التي صنعها الناموس ابتلعها القبر المشترك الذي أعدّه الله". وعليه، فما أسخف أن يطلب المسيحيون مزيدًا من القداسة بإحيائهم الفروقات التي أبطلها المسيح.

٣: ٢٩ ضلّ الغلاطيون إذ ظنّوا أن باستطاعتهم أن يصيروا نسل إبراهيم بحفظهم للناموس. ويُظهر بولس هنا خلاف ذلك: فالمسيح هو نسل إبراهيم، والميراث الموعود به لإبراهيم تمّ في المسيح. وعندما يؤمن الخطاة بالرب يسوع فهم يتّحدون به؛ وهكذا يصبحون نسل إبراهيم، وفي المسيح يرثون بركات الله كلّها.

د. *أولاد وأبناء* (٤: ١-١٦)

٤: ١، ٢ الصورة هنا هي لأب غنيّ يقرّر وضع كلّ غناه تحت تصرّف ابنه عند بلوغه سنّ النضج. ومع هذا، ما دام الوارث قاصرًا فحالته شبيهة بحالة العبد، فهناك من يخبره بإستمرار بما يجب عليه فعله وبما لا ينبغي أن يفعله، وهنالك وكلاء يديرون شئون ممتلكاته وأوصياء مسئولون عنه شخصيًّا. وهكذا، مع أنّ الميراث نصيبه بالتأكيد، فهو لا يتمتّع فعليًّا حتى يكبر.

٤: ٣ كانت هذه حالة اليهود تحت الناموس. فلقد كانوا قاصرين يتحكّم بهم الناموس مثل العبيد تمامًا. وكانوا مستعبدين تحت أركان العالم، أي المبادئ الأوليّة للديانة اليهوديّة. فالشعائر والطقوس اليهودية كانت معدّة للذين لم يعرفوا الله الآب كما قد ظهر في المسيح. وقد نجد إيضاحًا لذلك في الولد الذي يتعلّم المبادئ الأساسية للتهجئة بواسطة استعماله للمكعبات، أو يتعلم تمييز الأشياء بواسطة الصور. وهكذا فالناموس مليء بالظلال والصور التي تجذب الحواسّ الروحية من طريق الأشياء الجسدية والخارجية. والختان مثلٌ على هذه الأشياء. فاليهودية كانت جسدية وخارجية ووقتيّة؛ وأما المسيحية فهي روحية وداخلية ودائمة. ولقد كانت هذه المظاهر الخارجية نوعًا من العبودية بالنسبة للأولاد القاصرين.

٤: ٤ يشير ملء الزمان هنا إلى الوقت الذي عيّنه الآب السماوي والذي فيه يصبح الورثة بالغين (راجع العدد ٢). ونجد في هذه الآية تصريحًا عظيمًا يعبّر بكلمات قليلة عن طبيعة المخلِّص البشرية. فمع أنه ابن الله الأزليّ فقد جاء **مولودًا من امرأة**. فلو كان الربّ يسوع مجرّد إنسان لما كان داعٍ لأن نقول إنه جاء **مولودًا من امرأة**، إذ هل يمكن أن يولد مجرد إنسان بطريقة مختلفة؟ إذًا، تشهد العبارة هنا لشخص الرب يسوع الفريد ولطريقة ميلاده الفريدة.

جاء الرب يسوع «**مولودًا تحت الناموس**» لأنّه قد ولد في العالم كيهوديّ. هذا وإنّ الربّ يسوع لا يمكن أن يكون تحت الناموس بوصفه ابن الله، لأنّه هو الذي وضع الناموس. ولكنّه، بنعمته المتنازلة، وضع نفسه **تحت الناموس** الذي صنعه بنفسه لكي يرعى حُرمته في حياته ويحمل لعنته في موته.

٤: ٥ لقد طلب الناموس ثمنًا من الذين فشلوا في حفظه، وهذا الثمن هو الموت. وينبغي دفع هذا الثمن قبل أن يُحضر الله البشر إلى مقام البنوّة المجيد. وهكذا دفع الرب يسوع الأجرة التي تطلّبها الناموس إذ أتى إلى العالم كأحد أفراد الجنس البشري وأحد أبناء الأمّة اليهودية. وبما أنّه هو الله بذاته، فقد كانت لموته قيمة لا متناهية، أيّ كافية لدفع أجرة خطايا أي عدد من الخطاة. وبما أنّه إنسان بذاته، فقد استطاع أن يموت بديلاً من الإنسان. ويقول جوفت *Govett*: "إنّ المسيح، الذي هو بطبيعته ابنَ الله، صار ابن الإنسان لكي يُصبح ممكنًا لنا، ونحن بالطبيعة أبناء الإنسان، أن نصير أبناء الله. فيا لَلمبادلة العجيبة!".

هذا ولم يستطع الناس أن يكونوا **أبناء**، إذ كانوا بعيدًا. أما المسيح فقد خلّصهم من عبودية الناموس لكي ينالوا **التبنّي** كأبناء. ولنلاحظ التمييز هنا بين هاتين الحقيقتين: أن يصبح أحد "ولدًا" لله، وأن يصبح "ابنًا" لله (قارن مع رومية ٨: ١٤، ١٦). فالمؤمن قد وُلد في عائلة الله "كولد" (انظر يوحنا ١: ١٢). والتشديد هنا هو على حقيقة الولادة من الله لا على امتيازات البنويّة ومسئولياتها. ثمّ إنّ المؤمن أصبح "ابنًا" في العائلة بواسطة التبني؛ وكل مسيحيّ أصبح ابنًا مباشرة عند إيمانه، وأُدخل إلى الميراث باعتباره وريثًا. وهكذا فإنّ توجيهات العهد الجديد للمسيحيين تفترض عدم وجود طفولة بين القديسين، إذ يجري التعامل مع الجميع كأبناء بالغين.

يختلف **التبني** في الحضارة الرومانية عنه في العصر الحديث، وقد نظنّ أنّ التبنّي هو أن نأخذ ابنَ شخصٍ آخرَ ليصبح ابننا. لكن **التبنّي**، في مفهوم العهد الجديد، يعني وضع المؤمنين في مقام الأبناء الراشدين، مع كلّ الامتيازات والمسئوليات المتعلقة بهذا المقام.

٤: ٦ ولكي يدرك الذين صاروا أبناء لله سموّ مقامهم، **أرسل الله الروح** القدس في يوم الخمسين ليسكن فيهم. وقد أوجد الروح نوعًا من الوعي لحقيقة التبنّي أدّى بالنتيجة لأن يخاطب القديسون الله بوصفه **الآب**. والعبارة «**أبا، الآب**» تعبيرُ دلالٍ دارجٌ، وهي مزيج من كلمتين آرامية ويونانية بالمعنى نفسه "أب". لم يكن ممكنًا لأيّ عبد أن يخاطب ربّ العائلة بهذا الشكل؛ فهذه الطريقة في المخاطبة كانت مقتصرة على أفراد العائلة وكانت تعبر عن المحبة والثقة. ولنلاحظ في هذا العدد تمثيل الثالوث بالترتيب التالي: **الروح والابن والآب**.

٤: ٧ ليس المؤمن بعدُ عبدًا لأنه لم يَعُد تحت الناموس، فهو الآن ابنٌ لله. وبما أن المسيح، الذي هو ابن الله، يرث كلّ غنى الله، فالمسيحيّ **وارثٌ لله بالمسيح** وكل ما لله هو له بالإيمان.

لا يُسمَح للطالب في المدارس الدينيّة في الدولة العبريّة حاليًا أن يقرأ سفر نشيد الأنشاد أو الأصحاح الأول من سفر حزقيال حتى يصبح في سن الأربعين. فسفر نشيد الأنشاد يُعتبر شديد الصراحة جنسيًّا بالنسبة للذهن الفقيّ، ويحتوي الأصحاح الأول من سفر حزقيال على وصف لمجد الله الذي لا يُنطق به. ويروي التلمود خبر إنسان بدأ يقرأ في الأصحاح الأول من حزقيال فخرجت نار من الصفحة وأكلته، وهذا يبيّن أنّ الإنسان الذي يعيش تحت الناموس لا يُعتبر بالغًا إلاّ متى بلغ سنّ الأربعين. (يعتبر الولد اليهوديّ "بار ميتزفا" أي "ابن العهد" في سن الثالثة عشر وهكذا يصبح مسئولاً عن حفظ الناموس وهذا شيء معروف عند اليهود). ويعتبر اليهوديّ المتديّن قاصرًا ما دام دون الأربعين من العمر.

لكنّ حال المؤمنين في عصر النعمة ليست هكذا. فساعةَ خلاصهم، يغدو كل الميراث ملكهم، ويتمّ التعامل معهم كبالغين، أبناء وبنات ناضجين ولهم الكتاب كلُّه ليقرأوه ويتمتّعوا به ويطيعوه. وفي ضوء هذه الحقائق تغدو تحريضات هاريسون *Harrison* مناسبة جدًّا:

> يا ابنًا لله محبوبًا، كلّ الأشياء هي لك، والربّ يخبرك هذا في ١كورنثوس٣: ٢٢،٢٣، لكي يرفعك لتُدرك الغنى الذي تعجز كلّ قدراتك ومخيّلتك عن حدّه. فكّر بالكون، لمن هو إلاّ لك وله؟ ومن ثمّ عِش ملكًا.

٤: ٨ كان الغلاطيون في ما مضى مستعبدين للأوثان، وقبل رجوعهم للربّ كانوا شعبًا وثنيًّا يعبدون أصنامًا من خشب وحجر — أي **آلهة** زائفة، والآن ها هم يذهبون وراء أخرى هي عبودية الناموس.

٤: ٩ كيف يستطيعون تبرير سلوكهم هذا؟ فلقد **عرفوا الله**، بل إنّهم - في حال عدم معرفتهم العميقة لله اختباريًّا - **عُرفوا من قِبَل الله**، أي حصلوا على الخلاص. ومع هذا فإنهم يتحوّلون عن قوته وغناه (وهو وارثون له) إلى **الأركان الضعيفة الفقيرة**، أي الأشياء المرتبطة بالناموس، كالختان والأيام المقدّسة ونُظُم الأطعمة. فهم بهذه الطريقة يضعون أنفسهم مجدّدًا تحت عبودية الأشياء التي لم تستطع أن تُخلّصهم ولا أن تُغنيهم، بل كلُّ ما فعلت أنّها زادتهم فقرًا.

ويصف بولس الناموس وكلّ مراسمه "بالضعف والفقر". فلئن كانت وصايا ناموس الله حسنة في وقتها ومكانها الطبيعيين، فلا تكون سوى عوائق فعليّة متى حاولنا أن نضعها مكان الربّ يسوع. إنّها لوثنيّة أن يتحوّل أحد عن المسيح إلى الناموس.

٤: ١٠،١١ لقد كان الغلاطيون يحفظون التقويم اليهودي بسبوته وأعياده ومواسمه. لهذا عبّر بولس عن خوفه على الذين يطلبون رضى الله من طريق الممارسات الناموسية في حين يعترفون بالإيمان المسيحي. وقد يحفظ غير المؤمنين من الناس **أيضًا أيامًا وشهورًا ومواسم وسنين.** ويحسّ بعض الناس اكتفاءً شديدًا عندما يشعرون بأنّهم يستطيعون أن يفعلوا شيئًا ما بقوّتهم الذاتية لكسب ابتسامة رضى من الله. ولكنّ ذلك يعني أنّ لدى الإنسان بعضَ القوّة بحيث لا يعود بحاجة إلى **المخلّص**.

وإذا استطاع بولس أن يكتب للغلاطيين بهذه الطريقة، فما تراه يكتب اليوم للمسيحيين الذين يريدون أن يبلغوا القداسة من طريق الممارسات الناموسية؟ أتُراه لا يحكم على التقاليد المُدخَلة من اليهودية إلى المسيحية، كالكهنوت المرسوم بحسب استحسان البشر، ولباس الكهنة المميّز، وحفظ السبت، وزيارة الأماكن المقدسة، واستعمال الشموع والماء المُقدّس وإلى ما هنالك؟

٤: ١٢ يظهر أنّ الغلاطيون قد نسوا امتنانهم لبولس ذاك الذي أظهروه عندما بدأ كرازته لهم بالإنجيل. ولكنه يخاطبهم بكلمة «الإخوة» على الرغم من سقطاتهم وخوفه عليهم. لقد كان بولس تحت الناموس مرة، وها هو الآن، في المسيح، حرّ من الناموس. وهكذا يقول: «**كونوا كما أنا**»، أي أحرارًا من الناموس، غير عائشين تحته بعد. بيد أنّ الغلاطيين الأمميين لم يكونوا تحت الناموس قطّ ولا هم الآن تحته. لذلك يقول الرسول: «**لأني أنا أيضًا كما أنتم**» ـ أنا، الذي كنت يهوديًّا، أتمتّع الآن بالحرية من الناموس التي تتمتّعون بها أنتم دائمًا لكونكم من الأمم.

«**لم تظلموني شيئًا**»: لا نعرف بالضبط ما قصد بولس أن يقوله بهذه الجملة. ربّما كان يقصد أنه لا يشعر بالأذى الشخصي نتيجة لمعاملتهم له بهذا الشكل. فارتدادهم عنه ولجوؤهم للمعلّمين الكذبة ليس ضربةً له بالذات بقدر ما هو ضربة للحقّ الإلهي، فهو، بالتالي، أذيّة لنفوسهم بالذات.

٤: ١٣ لقد كانت البشارة بالإنجيل «**بضعف الجسد**»*. وغالبًا ما يستخدم الله الضعفاء والمحتقَرين والفقراء أدواتٍ له حتى يرجع المجد له وليس للإنسان.

٤: ١٤ كان مرض بولس **تجربةً** له وللذين كانوا يستمعون إليه. ومع هذا، فإنّ الغلاطيين لم يرفضوه بسبب مظهره الخارجي أو بسبب كرازته، بل على العكس قبلوه **كملاك من الله**، أي كمُرسل من عنده، بل **كالمسيح يسوع** بذاته. وبما أنّه كان يمثّل الربّ فقد قبلوه كما كانوا ليقبلوا الربّ يسوع (مت ١٠: ٤٠). وقبلوا رسالة بولس ككلمة الله الحقيقية. وينبغي أن يكون هذا التصرّف درسًا لجميع المسيحيين بشأن تعامُلهم مع المرسلين من قِبَل الرب. فنحن إذ نقبلهم من كلّ قلوبنا نقبل هكذا الربّ الذي أرسلهم (لو ١٠: ١٦).

٤: ١٥ عندما سمع الغلاطيون الإنجيل أولَ مرة أدركوا أيّة بركة غنيّة يحملها لنفوسهم وكان تقديرهم عظيمًا حتى إنّهم لو أمكن لأعطوا بولسَ عيونهم. (قد يكون في هذا إشارةٌ إلى أنّ مرض بولس كان علّة في العينين). ولكن أين صار الشعور بالامتنان عندهم الآن؟ إنّه ـ وا أسفاه ـ قد تلاشى مثل ندى الصباح.

٤: ١٦ ما الذي سبّب هذا التغيّر في موقفهم من بولس يا ترى؟ فقد كان ما يزال يكرز بالرسالة ذاتها ويسعى جاهدًا للدفاع عن حقّ الإنجيل **كأصدق** ما يكون. فلو جعله هذا **عدوًا** لهم، لبّات وضعهم في خطر حقيقيّ.

هـ. حريّة أو عبوديّة (٤: ١٧-٥: ١)

٤: ١٧ اختلفت دوافع المعلّمين الكذبة عن دوافع بولس. ففي حين كانت غايتهم أن يجتذبوا الناس وراءهم، كان هو يحرص على مصلحة الغلاطيين الروحية (٤: ١٧-٢٠). كان المعلّمون الكذبة يجتهدون بحرارة لكسب

* عدة نظريات قيلت في ماهية "ضعف" بولس. فقد قال بعضهم إنّه مرض في العينين مِمّا كان شائعًا في المنطقة التي عاش بها، وقد يرجح هذا الرأي. وارتأى غيرُهم أمراضًا أخرى كالملاريا أو الصداع النصفي أو الصَّرع، ومتاعب صحية أخرى.

عواطف الغلاطيين ولكنّ دوافعهم لم تكن مخلصة. «**بل يريدون أن يصدّوكم**»: لقد أراد دعاة التهوّد أن يقطعوا علاقة الغلاطيين بالرسول بولس والمعلّمين الآخرين، وقد سعوا إلى تشكيل مذهب خاص بهم لأنّهم كانوا يحبّون اكتساب أتباع لهم. ويحذّر ستوت *Stott* بهذا الشأن فيقول: "عندما تتحوّل المسيحية إلى عبودية القوانين والأنظمة، يكون ضحاياها مستعبدين حتمًا، معلّقين بأربطة مراويل معلّميهم، كما في العصور الوسطى".

٤: ١٨ كأنّي ببولس يقول في الواقع: "لست أمانع في أن يُبدي الآخرون حماستهم لأجلكم، ولو كنتُ غائبًا عنكم، شرط أن يفعلوا هذا بدوافع نقيّة ولغايات شريفة".

٤: ١٩ دعا بولس الغلاطيين قائلاً: «**يا أولادي**» لعلّ هذا يذكّرهم أنه هو الذي ربحهم للمسيح. وهو الآن **يتمخّض** لأجلهم ثانية، هذه المرة ليس لأجل خلاصهم بل بالحريّ **ليتصوّر المسيح** فيهم. فهدف الله النهائيّ من جهة شعبه هو مشابهة المسيح (أف ٤: ١٣، كو١: ٢٨).

٤: ٢٠ ربّما عنت هذه الآية أنّ بولس كان **متحيّرًا** بالنسبة لموقف الغلاطيين الحقيقيّ. فإنّ تحوّلهم عن الحقّ أثار لديه شكوكًا، وهو يتمنّى لو يستطيع **تغيير صوته** فيتكلّم عنهم بيقين وثقة؛ أو لعلّه كان متحيّرًا بالنسبة لردّة فعلهم على رسالته، فهو يفضّل لو استطاع أن يتكلّم معهم فمًا لفم، وعندئذ يقدر أن يُعبّر عن نفسه بشكل أفضل إذ يُغيّر لهجة **صوته**. إذ ذاك يستطيع أن يُخفّف من حدة لهجته إن هم تجاوبوا مع التوبيخ ويتحدّث بحزم إذا تعالوا وتمرّدوا. وأمّا بالرسالة فإنّه كان متحيّرًا من جهتهم لأنّه لم يكن يعلم ردّة فعلهم الحقيقيّة على تعليمه.

وبما أنّ المعلّمين اليهود اتّخذوا إبراهيم ذريعة وأصرّوا على ضرورة تمثّل المؤمنين الغلاطيين به من طريق الاختتان. فلذلك يوجّه بولس النظر في الآيات التالية إلى تاريخ حياة إبراهيم العائلية ليبيّن لهم أنّ الناموسية استعباد ولا يمكن خلطها بالنعمة.

وعد الله لإبراهيم بإعطائه ابنًا على الرغم من تقدّمه في السن هو وسارة امرأته بشكل لا يسمح بإنجاب الأولاد بحسب الطبيعة. فقد آمن إبراهيم بالله وحُسب ذلك له برًّا (تك١٥: ١-٦). ثمّ بعد ذلك بقليل، إذ فقدت سارة صبرها في انتظار الابن الموعود به، اقترحت على إبراهيم أن يدخل على جاريتها هاجر ليكون له منها ابن. وعمل إبراهيم، بنصيحتها فوُلد إسماعيل، ولكن لم يكن هذا هو الوارث الذي وعد به الله، بل كان ابن عدم صبر إبراهيم وجسديّته وقلّة ثقته (تك١٦).

ثم لمّا أصبح إبراهيم ابن مئة سنة وُلد له إسحاق ابن الموعد. وبديهيّ أنّ هذه الولادة كانت معجزية لأنّها تمّت بتدخّل من قِبَل الله القادر على كل شيء (تك٢١: ١-٥). ورأت سارة إسماعيل يسخر من ابنها في حفلة فطامه التي جرت حسب التقليد، فطلبت من إبراهيم أن يطرد إسماعيل وأمه من البيت قائلة: «لا يرث ابن هذه الجارية مع ابني إسحاق» (تك٢١: ٨-١١). هذه الأحداث تشكّل خلفيّة البرهان الذي يشرحه بولس في الأعداد التالية.

٤: ٢١ تُستخدم كلمة «**الناموس**» في هذا العدد بمعنيَين مختلفَين. يشير الأول إلى الناموس كوسيلة للحصول على القداسة، فيما يشير الثاني إلى أسفار الشريعة في العهد القديم (من التكوين إلى التثنية)، وعلى الأخصّ سفر التكوين. ويقول بولس هنا: "أخبروني

يـا من **تريدون** الحصول على رضى الله من طريق حفظ الناموس، ألستم تستمعون لرسالة أسفار **الناموس**؟".

٤: **٢٢، ٢٣ الابنان** في هذه الآية، هما إسماعيل وإسحاق. **والجاريـة هـي** هاجر وأمّا **الحـرّة** فهي سـارة. وقد ولد إسماعيل نتيجـة لتخّطيـط إبراهيم وتدخلـه، ومن جهة أخرى فقد أُعطي إسحاق لإبراهيم **بموعد** من الله.

٤: **٢٤** الحادثـة هنا **رمزيّـة**، تتضمّن معانـيَ أعمق ممّا يظهـر أوّل وهلة. أمّا المعنى الحقيقـي للأحداث فغير مُعلن بشكل صريح، لكنّه مُتضمّن في النص. وهكذا، فـإنّ واقعة إسـحاق وإسماعيـل الحقيقيّة تمثـل حقيقة روحية عميقة يشرحها بولس في ما يلي.

تمثّـل المرأتان **عهدين** اثنين: **هاجـر**؛ عهد الناموس، وسـارة؛ عهد النعمة. ولقد أُعطي الناموس على **جبل سـيناء**. واللافت للنظر أنّ كلمة "هاجر" أُطلقت قديمًا على جبل سيناء في بلاد العرب.

٤: **٢٥** لقد أنتج العهد الذي أُعطي في **سـيناء** عبوديّة؛ وهكذا كانت هاجر الجارية "المُستعبَدة" رمزًا مناسبًا للنامـوس. وتمثّـل هاجر **أورشـليم** الـتي تعتبرها الأمّة اليهوديـة عاصمتها، وقد اسـتوطن فيهـا اليهود غير المخلّصـين الذيـن كانوا ما يزالون يسـعَون للحصول على البرّ بحفـظ الناموس. فهؤلاء جميعًـا مع بَنيهم أو أتباعهـم هم تحـت عبودية روحية؛ وقـد صوّر بولس غير المؤمنين من اليهود تصويرًا لاذعًا إذ ربطهم بهاجر عوضًا عن سارة، وبإسماعيل عوضًا عن إسحاق.

٤: **٢٦** وأمّـا عاصمة المتبررين بالإيمان فهي أورشـليم السماوية. وهي أيضًا أمّ لجميع المؤمنين، يهودًا وأمميّين على السواء.

٤: **٢٧** هذه الآية المقتبسـة من إشعياء ٥٤: ١ هي نبوّة بأنّ بَني المدينة السـماوية سيكونون أكثر عددًا من بَني أورشليم الأرضية. وسـارة هي المـرأة التي كانت **عاقرًا** «**موحشـة**» لزمـان طويـل؛ وهاجر هـي المرأة الـتي **لهـا** زوج. والآن، كيف نفهم الانتصار النهائي لسـارة التي هي رمز أورشليم السـماوية؟ والجواب يكمـن في أنّ **أولاد الموعد**، وهم كل الذيـن أتوا إلى الله بالإيمان من الأمم واليهود على السـواء، هم **أكثر** بكثير من أولاد هاجر الذين يظلّون تحت الناموس.

٤: **٢٨** المؤمنون الحقيقيّون هم «الذين وُلدوا ليس من مشـيئة رجل ولا من مشيئة جسد بل من الله». فليس النسـل الطبيعي هو المهم، بل الـولادة الإلهية العجيبة بالإيمان بالربّ يسوع.

٤: **٢٩** لقد استهزأ إسماعيل بإسحاق. والحالُ دائمًا أنّ المولودين **حسـب الجسـد** يضطهدون الذين وُلدوا **حسب الروح**. وهنا تجدر الإشارة إلى آلام ربّنا يسوع ومعاناة الرسـول بولس علـى أيدي أناس غـير مخلّصين. وقد يظهـر لنا تعدّي إسماعيل في هزئه بإسـحاق أمرًا تافهًا، لكـنّ الكتاب يسـجّله ويرى فيه بولس مبـدأً ما زال قائمًا، ألا وهو العداوة بين **الجسد والروح**.

٤: **٣٠** لـو لجـأ الغلاطيـون إلى **الكتاب** لسـمعوا هذا الحكـم بعينه: أنّـه لا يمكن خلـط النامـوس بالنعمة؛ فمن المسـتحيل أن يرث أحد بركات الله على أسـاس الاستحقاق البشريّ ومجهودات الجسد.

٤: **٣١** إنّ الذيـن آمنوا بالمسـيح لا يتّكلون على الناموس كوسيلة للحصول على رضى الله. فهم **أولاد الحرّة**، ولذلك تسري عليهم حالة والدتهم الاجتماعية.

٥: ١ يتحدَّث العدد الأخير من الأصحاح الرابع عن مركز المؤمن من حيث إنَّه حرّ. ويتحدَّث هذا العدد الأول من الأصحاح الخامس عن حياة المؤمن العملية؛ عليه أن يعيش كإنسان حرّ. ولدينا هنا توضيح جيّد عن الفرق بين النعمة والناموس. فالناموس يقول: "إذا حصلت على حريتك تكون حرًّا". لكن النعمة تقول: "لقد تحرَّرت بفضل الثمن العظيم الذي دُفع بموت المسيح. لذلك ينبغي عليك، عرفانًا بالجميل، أن **تثبت في الحرية التي حرَّرك المسيح بها**". إذًا الناموس، يأمر لكنَّه لا يمنح قوة للتطبيق. وأما النعمة فهي تُؤمِّن للناموس مطالبه، ثم تعطي الإنسان قدرة ليحيا بشكل يتوافق مع مقامه، وذلك بواسطة الروح القدس، ثم تكافئه على ما عمله.

وكما يقول ماكنتوش *Mackintosh*: "يطلب الناموس قوة ممَّن لا قوة له، ويلعنه إن لم يستطع إظهارها. أمَّا الإنجيل فيعطي القوة لمن لا قوة له، ويباركه لأنَّه أظهرها".

قال لي الناموس: "عش واركُض أيّها الفتى"
لكنه لم يعطني اليدين ولا الرجلين
أتى الإنجيل بخبرٍ أطيب
إذ دعاني لأن أطير وأعطاني الجناحين.

٣. قسم عمليّ: دفاع بولس عن الحريّة المسيحيّة، حريّة الروح (٥: ٢-٦: ١٨)

أ. خطر الناموسيّة (٥: ٢-١٥)

٥: ٢ إنَّ الناموسية تسلب المسيح قيمته الحقيقية، إن جاز التعبير. ولقد شدّد المهوّدون على ضرورة ختان المؤمنين الأمميّين من أجل الخلاص. أمَّا بولس فقد أصرّ، وهو يتكلّم بسلطته الرسولية، على أنَّ الاتّكال على **الختان** هو بمثابة جعل **المسيح** بلا فائدة. ويقول جاك هنتر *Jack Hunter*:

> لم يعتبر بولس أنَّ الختان كان، في وضع الغلاطيين، مجرَّد عملية جراحية أو ممارسة دينية، بل كان يمثِّل نظامًا للخلاص بواسطة الأعمال. وكان إعلانًا لإنجيل المجهودات البشرية بمعزل عن النعمة الإلهية. وكان أيضًا عبارة عن إحلال الناموس مكان النعمة، وإحلال موسى مكان المسيح؛ لأنَّ الزيادة على المسيح هي انتقاص منه. لذلك فإنَّ "تكميل" المسيح هو إحلال شيء آخر مكانه. وذلك لأن المسيح هو المخلِّص الوحيد؛ دون زيادة أو نقصان. والختان معناه استئصالٌ من المسيح.

٥: ٣ تتطلَّب الناموسية من الإنسان أن يحفظ الناموس بأكمله. ولا يستطيع الذين تحت الناموس أن يقبلوا الوصايا السهلة ويرفضوا الوصايا الصعبة. لأنَّ من يحاول أن يُرضيَ الله بواسطة الختان **مُلتزم أن يحفظ الناموس** بأكمله. وهكذا فإمَّا أن يكون الإنسان تحت الناموس بأكمله وإمَّا ألاَّ يكون تحت الناموس البتَّة. وبديهيّ أنه متى كان الإنسان تحت الناموس يجعل المسيح بلا فائدة له. هذا وإنَّ الربّ يسوع ليس المخلِّص الكامل فقط بل الأوحد أيضًا. ولا يشير بولس في هذه الآية إلى الذين اختتنوا في السابق، بل إلى من يسعون للاختتان كضرورة للحصول على برّ كامل، وإلى الذين يشدّدون على أهمية حفظ الناموس شرطًا للقبول أمام الله.

٥: ٤ الناموسية تعني عدم التمسّك بالمسيح بوصفه الرجاء الوحيد للبرّ. وقد كانت هذه الآية موضوع جدل كثير، وأُعطيت لها تفسيرات عديدة يُمكن اختصارها في ثلاث فئات رئيسية كما يلي:

١ـ يعتقد كثيرون أنّ بولس هنا يعلّم بأنه يُمكن للإنسان أن يكون مخلّصًا حقيقيًّا، ويسقط من ثمّ في الخطية، وهكذا يسقط من النعمة ويهلك أبديًّا. وهذا ما عُرف "بتعليم السقوط النهائي".

لكننا نعتقد أنّ هذا التعليم غير صحيح لسببَين مُلزمين هما: أوّلاً، لا يتحدّث هذا العدد عن المخلّصين الذين سقطوا في الخطيّة، إذ لا وجود فيه لأي ذكر للسقوط في الخطية. لكنّ العدد يتحدّث عن الذين يحيون حياةً شريفة ومستقيمة وجديرة بالاحترام وبالتالي لديهم رجاء بالخلاص. وهكذا يرتدّ هذا المقطع على الذين يُدَعّمون تعليم السقوط النهائي. فهم يؤمنون أنّه يجب على المسيحي أن يحفظ الناموس ويحيا حياةً كاملة. وبكلام آخر، عليه أن يمتنع عن الخطية لكي يحافظ على خلاصه. لكنّ هذا العدد يشدّد على أن كلّ الذين يحاولون التبرّر من طريق حفظ الناموس أو بواسطة المجهودات البشريّة قد سقطوا من النعمة.

ثانيًا، يناقض هذا التفسير بشكل عام تعليم العهد الجديد المتماسك والذي يشهد أنّ كلّ مؤمن حقيقيّ بالربّ يسوع المسيح له خلاص أبديّ تام، وأنه لا يمكن أن يهلك أي واحد من خراف المسيح، وأن الخلاص يعتمد كليًّا على عمل المخلّص الكامل، وليس على مجهودات الإنسان الضعيفة (يو٣: ١٦، ٣٦؛ ٥: ٢٤؛ ٦: ٤٧؛ ١٠: ٢٨).

٢ـ تشير هذه الآية، بحسب تفسير آخر، إلى الذين حصلوا في البداية على الخلاص بالإيمان بالرب يسوع، لكن وضعوا أنفسهم بعد ذلك تحت الناموس لكي يحافظوا على خلاصهم أو ليحصلوا على القداسة. وبكلام آخر، لقد حصلوا على الخلاص بالنعمة، لكنهم الآن يسعون للمحافظة عليه بالناموس. ويكون "السقوط من النعمة" في هذه الحال تمامًا كما عبّر عنه فيليب مورو *Mauro* في الكلمات التالية: "إنّ السقوط من النعمة هو التحوّل عن طريق الله لتكميل القديسين بعمل الروح فيهم، والسعي لبلوغ هذه الغاية من طريق الشعائر والطقوس الخارجية التي يستطيع ممارستها الجسديون والقدّيسيون على السواء".

إنّ وجهة النظر هذه غير كتابيّة. أوّلاً، لأنّ الآية لا تتحدّث عن المسيحيّين الذين يسعون نحو القداسة أو التقديس، بل تتحدّث عن أناس غير مخلّصين يحاولون أن يتبرّروا من طريق حفظ الناموس. لاحظ صياغة الجملة: «أنتم الذين تتبرّرون بالناموس». ثانيًا، إنّ تفسير الآية بهذا الشكل يتضمّن الاحتمال بأن يكون أشخاص مخلّصون قد انفصلوا لاحقًا عن المسيح، وهذا لا يتماشى مع التعليم الصحيح بخصوص نعمة الله.

٣ـ ويقول التفسير الثالث إنّ بولس كان يتكلّم لأشخاص يدّعون الإيمان المسيحي لكنّهم بالحقيقة غير مخلّصين وهم يسعون للتبرّر من طريق حفظ الناموس. لذلك يقول لهم الرسول إنّه لا يمكن أن يكون عندهم مخلّصان اثنان. فعليهم أن يختاروا، إمّا المسيح أو الناموس. فلو اختاروا الناموس لكانوا ينفصلون عن المسيح بوصفه رجاءهم الوحيد للبرّ، ويكونون قد «سقطوا من النعمة». ويعبّر هوج وفاين *Hogg & Vine* عن هذا الأمر بالقول:

> يكون المسيح للإنسان إمّا كل شيء وإمّا لا شيء أبدًا. فالثقة الناقصة غير مقبولة لديه، كذلك الولاء المجزّأ. والإنسان الذي يتبرّر بنعمة ربنا يسوع المسيح هو مسيحي مؤمن حقًّا. وأمّا الذي يسعى للتبرّر بأعمال الناموس فليس مسيحيًّا ولا مؤمنًا البتة.

٥:٥ يبيّن الرسول بولس في هذا العدد أنّ رجاء المؤمن الحقيقي يختلف اختلافًا واسعًا عن رجاء الإنسان الناموسي. فالمسيحي ينتظر **رجاء البرّ** إذ يرجو حلول الساعة التي فيها سيأتي الربّ ثانية فيُعطى الجسد الممجّد ويُعتَق من الخطية بالتمام. وتجدر الملاحظة أنّه لا يقول إن المسيحي يرجو الحصول على البرّ، فهو قد أصبح مقبولاً لدى الله بواسطة الربّ يسوع المسيح (٢كو٥: ٢١)، لكنه ينتظر الوقت الذي فيه يغدو كامل البرّ في ذاته. وهو لا يرجو تتميم ذلك الأمر من طريق مجهوده الشخصي، بل **بالروح** وبواسطة **الإيمان**. فإنّ الروح القدس سيقوم بالعمل كاملاً والمؤمن يتطلّع إلى الله بالإيمان ليحقّق ذلك. أمّا الناموسيّ فإنّه يرجو اكتساب البرّ من طريق أعماله الشخصية وحفظ الناموس أو الممارسات الدينية. وهذا رجاء باطل لأنّه لا يمكن الحصول على البرّ بهذه الطريقة.

وتجدر الملاحظة أيضًا أنّ بولس يستعمل ضمير جمع المتكلّم "نحن" في هذه الآية مشيرًا إلى المسيحيين الحقيقيّين؛ لكنّه يستعمل ضمير جمع المخاطب "أنتم" في العدد الرابع عندما يتحدّث إلى الذين يسعون للتبرّر بأعمال الناموس.

٥: ٦ إنّ مبدأ الناموسيّة **لا ينفع شيئًا**. فما دمنا في **المسيح يسوع** "أي مسيحيين مؤمنين" **فالختان لا يحسّننا والغرلة** "عدم الختان" لا تجعلنا أسوأ. فما يهمّ الله في المؤمن هو **الإيمان العامل بالمحبة**. **والإيمان** هو الاعتماد الكامل على الله. وهو ليس إيمانًا باطلًا بل إنه يُظهر نفسه بالخدمة المضحيّة لله والناس. ودافع كلّ هذه الخدمات هو **المحبة**. هكذا يكون الإيمان **عاملاً بالمحبة**. فالمحبة، لا الناموس، هي التي تحثّ المؤمن على الخدمة. وتظهر هذه الحقيقة مرّات عديدة في الكتاب المقدس مبينة لنا أن الله لا يهتم بالطقوس الخارجية بقدر ما يهتم بحياة التقوى الحقيقية.

٥: ٧ الناموسيّة، بحسب هذا العدد، هي عصيان للحقّ. فلقد بدأ الغلاطيون بدايةً جيّدة في الحياة المسيحية، لكنّ أحدًا **صدّهم**. والذين صدّوهم هم الرسل الكذبة، دعاة التهوّد والناموسية. وإذ قبل القدّيسون في غلاطية تعاليمهم الخاطئة، كانوا عمليًّا **غير مطاوعين للحقّ الإلهي**.

٥: ٨ الناموسية ليست تعليمًا من الله. "المطاوعة" هنا تعني الإيمان أو التعليم. «**الذي دعاكم**» تشير إلى الله. وهكذا يغدو واضحًا أنّ التعليم بضرورة زيادة الختان وحفظ الناموس على الإيمان بالمسيح ليس من الله بل من إبليس.

٥: ٩ تقود الناموسيّة من شرّ إلى شرّ. والخمير في الكتاب المقدس عمومًا رمز مألوف للشرّ. والإشارة هنا هي إلى تعليم المهوّدين الشرّير. هذا وإنّ ميّزة الخمير الطبيعيّة هي نشر التأثير في كلّ أجزاء الطعام الذي يلتصق به. وهذه الميزة مستخدمة هنا للدلالة على أنّ خطأ صغيرًا قد يجرّ أخطاء كثيرة. فالشرّ ليس عديم التطوّر أبدًا، بل يدافع عن كذبه بإضافة أكاذيب أخرى. والناموسية تشبه الثوم! وكلّنا نعلم ما تعمله كمية صغيرة منه. فلو اعتنقت قلّة في الكنيسة تعليمًا خاطئًا نرى أنّ عدد أتباعهم يتزايد تدريجيًّا ما لم يُعالَج الموضوع بحزم.

٥: ١٠ تجلب الناموسية دينونة على الذين يعلّمون بها. وقد كان بولس واثقًا أنّ الغلاطيين سيرفضون التعاليم الخاطئة. كانت ثقته **في الربّ**، وقد يعني هذا أنّ الله أعطاه تأكيدًا من جهة هذا الأمر، أو قد يعني أنّ بولس، وهو يعرف الربّ جيّدًا، وثق بأن الراعي الصالح العظيم سوف يُرجع خرافه عن ضلالهم، ربّما من خلال هذه الرسالة لهم.

وأمّا من جهة المعلّمين الكذبة فسوف يلقون العقاب من عند الله، لأنّ تعليم الضلال الذي يؤدّي إلى خراب الكنيسة أمر في غاية الخطورة (١كو ٣: ١٧). فأن تعلّم بأن الشكر مسموح مثلاً أسوأ بكثير من أن تسكر أنت بالذات.

٥: ١١ إنّ الناموسية تقضي على **عثرة الصليب**. ويحاول بولس الآن الردّ على القائلين بأنّه هو أيضًا كان يكرز بضرورة الختان. فهو ما زال يقاسي **الاضطهاد** على أيدي اليهود، فلو كان يكرز **بالختان** لتوقّف الاضطهاد مباشرةً، لأن ذلك يعني أنّه قد ترك الكرازة **بالصليب**، لأنّ الصليب **عثرة** للناس؛ فهو يُعثر الإنسان إذ يخبره أنْ لا قيمة لأعماله، مهما كانت، للحصول على الخلاص. فالصليب لا يدع مجالاً للجسد ومجهوداته بل يضع حدًّا للأعمال البشريّة. فلو أدخل بولس الأعمال من طريق الكرازة بالختان لوضع بالحقيقة جانبًا كلّ معنى الصليب.

٥: ١٢ يمكننا أن نفهم بشكل حرفيّ تمنّي الرسول لمسبّبي القلق بأن **يقطعوا** أنفسهم؛ إذ يتمنّى لو أنّهم يجعلون أنفسهم خصيانًا. فإذ هم شديدو الحماس لاستعمال السكّين من أجل ختن الآخرين، ليت السكين يعمل الآن على خصيهم. لكنّ من المستحسن أن نفهم هذه الكلمات مجازيًّا. فالرسول بولس يتمنّى، بكلام آخر، أن ينقطع المعلّمون الكذبة عن الغلاطيين انقطاعًا تامًّا.

لطالما أتُّهم إنجيل النعمة بالسماح للناس بأن يعيشوا كما يشاؤون. ويقول قومٌ: "إن كان الخلاص بالإيمان وحده فلا وجود بعدئذ لأيّ ضابط للسلوك الفرديّ". لكنّ الرسول يُسرع فيقول إنّ الحريّة المسيحيّة ليست إباحةً للخطيّة. فمقياس المؤمن هو حياة الربّ يسوع، ومحبة المسيح تحضّه على كره الخطيّة ومحبّة القداسة.

لربّما كان ضروريًّا لبولس أن يحذّر قرّاءه من إساءة استعمال الحرية. فعندما يكون الناس تحت ضوابط الناموس لمدة من الزمن ويُمنحون بعد ذلك الحرية، ينشأ خطر التطرُّف بالانتقال من حياة العبودية القاسية إلى حياة الحرية المتساهلة. فالتوازن الصحيح هو الحرية التي تتوسط بين الناموس والإباحية، إذ إنّ المسيحيّ حرّ من الناموس، لكنّه ليس بلا ناموس.

٥: ١٣ لا تسمح **الحريّة** المسيحية بالخطيّة، بل بالحريّ تشجّع خدمة **المحبة**. وتظهر المحبّة بوصفها الدافع الأساسي لكلّ السلوك المسيحي، في حين أنّ الدافع الحقيقي للسلوك تحت الناموس هو الخوف من العقاب. ويقول فندلي *Findlay*: "إنّ عبيد المحبة هم الأحرار الحقيقيّون".

الحريّة المسيحيّة هي «في المسيح يسوع» (٢: ٤)، وهذا يستبعد كليًّا أي احتمال للتفكير بأن هذا قد يعني حريّة للخطيّة. فيجب علينا ألاّ نُحوّل حريّتنا أبدًا مسرحًا لعمليات الجسد. لأنّه كما أنّ الجيش المهاجم

يسعى لتحقيق ثغرة عند العدو ويجعلها مسرحًا لعملياته بغية تحقيق توسُّع أكبر، كذلك تمامًا يستخدم الجسد تهاوُنًا بسيطًا ليوسِّع تخومه.

يصحّ المبدأ التالي في الحرية المسيحية: "تعوَّدوا استعباد نفوسكم أحدكم للآخر". ويقول أ.ت.بيرسون *A. T. Peirson*:

> الحريَّة الحقيقيَّة موجودة في إطاعة القيود الصحيحة. فالنهر يتمتَّع بحريَّة الجريان بين الضفاف فقط: وبغير هذه الضفاف قد يتحوَّل النهر إلى مستنقع موحل راكد. وقد تتحطَّم الكواكب وتحطِّم الكون معها لو توقَّف عن العمل ناموسُ الطبيعة المتحكِّم بدورانها. ثمَّ إنَّ الناموس الذي يحبسنا داخلاً يحبس الآخرين خارجًا. لذلك فإنَّ ما يجعل المرء حرًّا ليس مجرَّد الضوابط بل الضوابط الصحيحة مع الطاعة الممتزجة بالفرح.

٥: ١٤ قد يبدو مستغرَبًا أوّلَ وهلة أن يعود بولس هنا إلى ذكر **الناموس** بعدما شدَّد في مجمل رسالته على كون المؤمنين أحرارًا منه. لكنَّه لا يحثّ قرّاءه هنا على الرجوع إلى الناموس، بل يبين أنَّ ما طالب به الناموس وعجز عن تتميمه هو الشيء عينه الذي ينتج من ممارسة الحرية المسيحية.

٥: ١٥ تؤدّي الناموسية دائمًا إلى الخصام، ويبدو أنَّ هذا ما أحدثته في غلاطية. ومن الغرابة أن نرى الذين يريدون أن يكونوا تحت الناموس يتصرَّفون تمامًا عكس ما طالب به الناموس من محبَّة القريب. فقد كانوا ينهشون ويأكلون بعضهم بعضًا، وهذا التصرّف ينبع من الجسد. والناموس يعطي الجسد مكانه لأنَّه يعمل وفقه.

ب. *القوة اللازمة للقداسة* (٥: ١٦-٢٥)

٥: ١٦ ينبغي للمؤمن أن **يسلك بالروح** لا بالجسد. وهذا السلوك يعني السماح للروح بأن يقودنا في طريقه. وهو يعني أيضًا البقاء في حالة شركة مستمرة مع الله بالروح القدس. والسلوك في الروح يُعبَّر عنه في اتخاذ قرارات تتوافق مع قداسته، وهو يظهر أيضًا في انشغالنا بالمسيح لأنَّ عمل الروح هو جعل المؤمن ينشغل بالربّ يسوع. وعندما نسلك هكذا بالروح يُحسَب **الجسد** أو حياة الذات تحت حُكم الموت عمليًّا، إذ لا نستطيع الانشغال بالمسيح وبالخطيَّة في نفس الوقت. ويقول سكوفيلد *Scofield* في هذا المجال:

> تكمن صعوبة الحياة المسيحية في الحقيقة التالية: ما دام المؤمن يعيش في العالم فهو شجرتان، إذا جاز التعبير: الشجرة القديمة؛ شجرة الجسد، والشجرة الجديدة؛ شجرة الطبيعة الإلهية المكتسبة عند الولادة الجديدة. والصعوبة بحد ذاتها هي كيف نُبقي الشجرة القديمة عاقرًا ونجعل الشجرة الجديدة مثمرة في الوقت عينه. فالحلّ الوحيد لهذه الصعوبة هو السلوك بالروح.

يرينا هذا العدد، مع الأعداد التي تلي، أنَّ الجسد ما زال حاضرًا في المؤمن؛ لذلك فإنَّ فكرة زوال الطبيعة القديمة الخاطئة مرفوضة تمامًا.

٥: ١٧ الروح والجسد هما في صراع مستمرّ. وقد كان بمقدور الله أن ينزع الطبيعة الجسديَّة من المؤمنين لحظة اهتدائهم، لكنَّه لم يختر أن يفعل هذا. وذلك لأنه أراد أن يذكّرهم باستمرار بضعفهم، لكي يبقيهم في حالة اعتماد دائم على المسيح، كاهنهم العظيم وشفيعهم

الوحيد. وهذا يجعلهم في حالة شكر مستديم للذي خلّصهم وهم كالدود الحقير. فعوضًا عن نزع الطبيعة الجسديّة منا، أعطانا الله روحه القدوس ليسكن فينا. لذلك إن روح الله وطبيعتنا الجسدية هما في حالة حرب دائمة، وستستمرّ حربهما إلى أن نؤخذ إلى السماء موطننا. وتنحصر مسئولية المؤمن في هذا الصراع بالخضوع للروح القدس.

٥: ١٨ إنّ الذين **ينقادون بالروح** ليسوا تحت الناموس. ويمكننا فهم هذا العدد بطريقتين مختلفتين: أولاً، الذين «**ينقادون بالروح**» هم المسيحيون المؤمنون جميعهم. لذلك لا يوجد مسيحيون تحت الناموس. لأنّهم لا يعتمدون على المجهودات الذاتية. والروح القدس، لا المؤمنون أنفسهم، هو الذي يقاوم تحرّكات الشرّ داخلهم. ثانيًا، قد يعني **الانقياد بالروح** الارتفاعَ فوق الجسد والاهتمام بالربّ، فعندما يكون المرء مشغولاً بالربّ فهو لا يفكّر في الجسد أو الناموس، إذ لا يقود روح الله الناس للناموس كوسيلة للتقديس، بل بالحري يدلّهم على المسيح المُقام الذي هو الأساس الوحيد للقبول أمام الله.

٥: ١٩-٢١ ذكرنا في السابق أنّ الناموس يروق للطاقات التي للجسد. ما نوع الأعمال التي تنتج من الطبيعة البشرية الساقطة؟ ليس صعبًا علينا أن نتبيّن **أعمال الجسد**، فهي واضحة للجميع. **فالزنى** هو خصوصًا عدم الأمانة في العلاقة الزوجيّة. **والعهارة** هي العلاقة الجنسيّة غير المشروعة. **والنجاسة** هي الفساد الأخلاقيّ والانحراف وراء شهوات الجسد. أمّا **الدعارة** فهي عدم الخجل في السلوك بلا روادع أخلاقيّة. **وعبادة الأوثان** ليست عبادة الأصنام فقط، بل تشمل أيضًا الممارسات الفاسقة التي ترافق عبادة الشياطين. **السحر** هو الشعوذة والكلمة اليونانية تشير إلى الأدوية (في الأصل اليوناني "فارماكيا *pharmakeia*") ولأنّ العقاقير كانت تُستخدَم في الشعوذة أصبحت الكلمة مرادفة للاتصال بالأرواح الشريرة أو استعمال الرُّقى السحريّة، وقد تشمل أيضًا بمعناها "الخرافات" و"سوء الحظ"، إلخ. **والعداوة** تعني مشاعر حقد قويّة موجّهة نحو الأفراد. **الخصام** يعني عدم الاتفاق والاختلاف والمشاجرات. أمّا **الغيرة** فهي عدم الثقة والظنون الرديّة. **والسخط** هو فَوَران الغضب الشديد والانفعالات. **والتحزُّب** هو المساعي الأنانيّة للظهور في الطليعة، حتى لو كان هذا على حساب الآخرين. أمّا **الشقاق** فهو الانفصالات التي تحدث نتيجة لعدم الاتفاق. **والبدعة** هي الطائفة الضّالة التي تتكوّن بأيدي أشخاص متشبّثين بآرائهم الخاصة. **والحسد** هو عدم الفرح بنجاح الآخرين وتقدّمهم. **والقتل** هو إماتة الآخرين بغير حقّ وخلافًا لكل قانون. **والسُكر** ينجم عن الإفراط في شرب الخمر. **والبطر** هو العربدة أو حفلات الخلاعة اللاهية المترافقة مع السكر.

ينذر بولس قرّاءه، كما سبق فأخبرهم، بأن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله. ولا يعلّم المقطع أنّه لا يمكن للسكير مثلاً أن يخلص، لكنّه يقول إنّ الذين تتميّز حياتهم بالأعمال الجسدية الواردة في القائمة السابقة هم غير مخلّصين (راجع التعليق على ١ كورنثوس ٦: ٩).

ما الذي دعا بولس ليكتب بهذه الطريقة لكنائس

القدّيسين؟ السبب هو أنّه ليس كلّ الذين يعترفون أنّهم مخلّصون هم أولادًا حقيقيّين لله. وهكذا فإنّ الروح القدس في العهد الجديد كلّما قدّم حقائق روحيّة مجيدة يُرفق ذلك غالبًا بتحذيرات شديدة اللّهجة للذين يعترفون باسم المسيح بلا إيمان حقيقي.

٥: ٢٢، ٢٣ يميّز الرسول بولس بين «أعمال الجسد» من جهة و«**ثمر الروح**» من جهة أخرى، وهذا أمر جدير بالاهتمام. فالأعمال تنتج بواسطة الطاقات البشرية، أمّا الثمر فينمو حينما يثبت الغصن في الكرمة (يو ١٥: ٥). فاختلافهما شبيه باختلاف المصنع عن البستان. وتجدر الملاحظة أنّ كلمة الثمر تأتي في صيغة المفرد لا الجمع، فإنّ الروح القدس يُعطي نوعًا واحدًا من الثمر، ألا وهو مشابهة المسيح. وتصف كلّ الفضائل المدرجة في اللائحة حياة المؤمن الذي صار ابنًا لله. وقد أشار سكوفيلد *Scofield* إلى أنّ كلّ واحدة منها غريبة كليًّا عن طبيعة القلب البشري.

المحبة هي طبيعة الله، وهي أيضًا ما يجب أن نكون عليه نحن. ويصف هذه المحبّة الأصحاحُ الثالث عشر من رسالة كورنثوس الأولى، في حين أن عمل المسيح الكفّاري فوق الصليب يجسّمها لنا تمامًا. أمّا **الفرح** فهو اكتفاء المؤمن وشبعه بالله ومعاملاته الطيّبة، وقد جسّم المسيح ذلك في يوحنا ٤: ٣٤. **والسلام** يشمل سلام الله كما يتضمّن أيضًا العلاقة المتناغمة بين المؤمنين المسيحيين، ويُمكننا الرجوع إلى لوقا ٨: ٢٢-٢٥ لنرى السلام في حياة الفادي. **وطول الأناة** هو الصبر في الضيقات والضرورات والاضطهادات، ويمكننا إيجاد المثال الأعلى لهذه الفضيلة في لوقا ٢٣: ٣٤. **واللطف** هو الرقّة في المعاملة، وأفضل مثال له هو الربّ يسوع في تصرّفه مع الأولاد الصغار (مر ١٠: ١٤). أمّا **الصلاح** فهو الخير الذي نُظهره للآخرين، وعلينا أن نقرأ لوقا ١٠: ٣٠-٣٥ حتى نرى الصلاح مجسّمًا. **الإيمان**، أو الأمانة، قد يعني الثقة بالله، والثقة بإخوتنا المؤمنين، والإخلاص، أو أن نكون أهلًا للثقة؛ وربما يكون هذا المعنى الأخير هو المقصود هنا. أمّا **الوداعة** فهي أخذ مركز التواضع دائمًا كما فعل الربّ يسوع عندما غسل أرجل تلاميذه (يو ١٣: ١-١٧). وأخيرًا **التعفّف** يعني حرفيًّا ضبط النفس، خاصّة بالنسبة للأمور الجنسيّة. يجب أن تخضع حياتنا لضبط النفس، فالشهوات والميول والأهواء والطباع جميعها أمور يجب التحكّم بها. وينبغي أن نمارس الحشمة أو الاعتدال في كلّ شيء. يقول صموئيل شادويك *Samuel Chadwick* في هذا الشأن:

> لو كُتب هذا المقطع بلغة الجرائد لقرأناه على الشكل التالي: ثمر الروح هو تصرّف محب حنون، روح مشرق وطبع مرح، فكر مطمئن وسلوك هادئ، صبر يحتمل الظروف الصعبة والناس، نظرة تعاطف ومساعدة فعّالة، صوابٌ في الحكم وقلبٌ واسع في أعمال الرحمة، ولاء وجدارة بالثقة في جميع الأحوال، وداعة تنسى النفس في فرح الآخرين، سيطرة على الذات وضبط النفس في كلّ شيء، وهو تاج صفات الكمال. يا لشدّة ترابط هذه الصفات مع ١ كورنثوس ١٣.

ويختم بولس قائمته هذه بتعليق موجز قائلاً: «**ضدّ أمثال هذه ليس ناموسٌ**». (أي ليس من قانون يمنع مثل هذه الفضائل) طبعًا لا! فإنّ هذه الفضائل

مرضيّة لـدى الله ومفيدة للآخرين وجيّدة لنفوسنا. لكـن كيف نحصل على هذا الثمر؟ أبواسطة الجهد البشـريّ؟ كلا البتّـة. إذ يحصـل المؤمنون على هذا الثمر عندما يعيشـون في شركة مستمرّة مع الرب. وإذ ينظـرون إلى المخلّص بمحبّـة وتكريس ويطيعونه في حياتهـم اليومية فـإنّ الروح القـدس يصنع فيهم معجزة عظيمة؛ فهو يحوّلهم إلى شبه المسيح ويصبحون مثلـه إذ ينظرون إلى وجهه (٢كـو ٣: ١٨). وكما يستمدّ الغصن حياته وغذائه مـن الكرمة، فكذلك تمامًا يستمدّ المؤمن المسيحي قوّته من الكرمة الحقيقيّة ويغدو بالتالي قادرًا أن يحيا حياة مثمرة لله.

٥: ٢٤ «**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسـد**». يؤكّد زمن الفعل باليوناني أنّ شـيئًا مـا قد حصل في الماضي بـكلّ تأكيد ومـن هنا ضرورة حـرف التحقيق "قد". وقد حصـل ذلـك بالتحديد سـاعة اهتدائنـا. فعند توبتنا حدث نوع من تسـمير الطبيعة القديمة الشريرة والفاسدة مع كلّ **أهوائها وشهواتها** على الصليب. فلقد قرّرنا ألاّ نحيا أبدًا لأجل تغذية طبيعتنا الساقطة وأنّ هذه الأخيرة لن تسـودنا بعد. لكن يجب بالطبع تجديد هذا القـرار في حياتنا باسـتمرار، إذ علينا أن نُبقي الجسـد دائمًا في حالة الموت.

٥: ٢٥ "إن" تحمل هنا فكرة "بما أنّنا". فبما أنّنا حصلنا علـى الحياة الأبديـة بعمل الروح فينـا، فلنحيَ الحياة الجديدة بقوة الروح نفسـه. لأنّ الناموس لا يقدر أبدًا أن يعطـي الحياة ولم يكن الهدف منه أن يكون هو قانون السلوك لحياة المؤمن.

ج. *تحريضات عمليّة* (٥: ٢٦- ٦: ١٠)

٥: ٢٦ نجد في هذا العدد ثلاثة مواقف ينبغي أن نتجنّبها:

١- العجـب أو الغـرور -«**لا نكـن معجبـين** (حرفيًّا أن تكـون لنـا بالنسـبة إلى ذواتنـا آراء باطلة ومتباهية)». فالله لا يريد أن يكون المسـيحيون أشـخاصًا متبجّحين ومغرورين وفخورين بأنفسـهم، فهـذا لا يتوافـق مع كونهـم خطاة مخلّصين بالنعمة. وغالبًا ما يصبح الذين يعيشون تحـت النامـوس فخوريـن بإنجازاتهـم الهزيلة، ويسـخرون من الذين لا يرقون إلى مقاييسـهم. وبالمقابل فإنّ المسـيحيين ذوي العقليّة الناموسية غالبًا مـا يطعنون بالمسـيحيين الآخريـن الذين لا يتبنّون قائمة الأشياء التي يدينونها.

٢- الإغضـاب -«**نغاضب بعضنا بعضًـا**»: إنّ إغضاب الآخرين، أو تحدّيهم ليصلوا إلى مقاييسنا الخاصة، هُوَ إنكارٌ للحياة الممتلئة بالروح. فنحن لا ندرك أبدًا مقدار المشـاكل والتجارب التي يعانيها قلب الشخص الآخر إذ لم نعش مكانه أبدًا.

٣- الحسـد -«**نحسـد بعضنـا بعضًـا**»: خطيّـة الحسـد هي بالتحديـد أن نتمنّى امتـلاك ما يخصّ الآخريـن، تمنّيًا بغير حقّ. فالحسـد هو أن نشـتهي مواهب الشـخص الآخر وتفوّقه وممتلكاته وحسن طلعته. فذوو القدرات القليلة أو الشـخصيات الضعيفة يميلون لحسـد الذين يحفظـون النامـوس بنجـاح، كمـا يبـدو، وكل هذه الصفات غريبة عن النعمـة. وعلى المؤمن الحقيقيّ أن يعتـبر الآخرين أفضل من نفسـه. أمّـا الذين يحفظون الناموس فهم يسعون نحو المجد الباطل. هذا وإنّ العظمة الحقيقيّة هي في الخدمة الخفيّة والعمل غير المرئيّ.

٦: ١ نرى في هذا العدد وصفًا جميلاً لكيفية معالجة المؤمن الذي يخطئ من قِبَل مؤمنين آخرين. وهو بالطبع يتناقض بشدّة مع الناموس الذي كان يطالب بمعاقبة المخالفين. وإنّ العبارة «**أُخذ أحد في زلّة ما**» لا تصف الإنسان الذي يعيش عادة في الخطيّة، بل الإنسان الذي أخطأ عرضيًّا. وتجب معالجة مثل هذا من قِبَل المؤمنين الروحيّين. فالمؤمن الجسدي قد يسبّب بقساوته ومواقفه الباردة ضررًا بدل النفع، عدا عن أنّ الأخ المتعدّي ربّما لا يقبل التأديب الصادر عن مؤمن هو نفسه بحاجة لتمتين علاقته مع الربّ.

يطرح هذا العدد السؤال المهمّ التالي: إن كان الإنسان روحيًّا، فهل تُراه يُقرّ بذلك؟ أليس الروحيّون أكثر الناس إدراكًا لضعفاتهم؟ من تُراه يُقدم على عمل الإصلاح، إن كان ذلك يميّزه بأنّه إنسان روحي؟ ألا يتنافى هذا مع روح التواضع؟ الجواب هو كالتالي: إنّ الإنسان الروحي الحقيقي لا يفتخر أبدًا بحالته، بل يمتلك قلبًا راعويًّا رقيقًا يجعله راغبًا في إصلاح الأخ المتعدّي. وهو لا يُقدِم على العمل بروح الكبرياء والتعالي بل **بروح الوداعة**، متذكّرًا بأنّه هو نفسه معرّض للتجربة أيضًا.

٦: ٢ تشير كلمة «**الأثقال**» هنا إلى السقطات والتجارب والضيقات والامتحانات. فيجب علينا أن نسارع للوقوف بجانب الأخ المتضايق والمجرَّب لكي نساعده بكل الطرق المُمكنة، عوضًا عن مجرّد الابتعاد والاكتفاء بالانتقاد.

هذا ويشمل **ناموس المسيح** كلّ وصايا الربّ يسوع لشعبه كما نجدهم في كتاب العهد الجديد. ويمكننا تلخيصها بوصيّة واحدة: «أن تحبّوا بعضكم بعضًا» (يو١٣: ٣٤؛ ١٥: ١٢). ونتمِّم هذه الوصية عندما نحمل بعضنا أثقال بعض. **وناموس المسيح** يختلف كثيرًا عن ناموس موسى. فهذا الأخير يَعِد بالحياة للذين يطيعون لكنه لا يُعطي قوة للطاعة، بل يشجِّع عليها خوفًا من العقاب فقط. أما **ناموس المسيح** فهو التعليم المقرون بالمحبّة للذين قد سبق أن حصلوا على الحياة. ويستطيع المؤمنون أن يحفظوا وصاياه بقوّة الروح القدس، تدفعهم لذلك محبتهم للربّ يسوع المسيح.

٦: ٣ جميعنا مصنوعون من نفس الجبلة. لذلك فلنتذكّر عندما نرى أخًا لنا يسقط في الخطية أنّه ربما كنّا نحن مكانه في الخطيّة ذاتها. وإنّه لنوع من خداع النفس أن يكون عند المسيحي عقدة الاستعلاء. فيجب علينا ألاّ نظنّ أبدًا أنّ حَمل أثقال الآخرين ينتقص كرامتنا في أي حال من الأحوال.

٦: ٤ يظهر هذا العدد أنّه تحذير من عادة مقارنة نفوسنا بالآخرين وإيجاد أسباب لاكتفائنا الروحي. ويشير الرسول إلى حتمية امتحان **عمل** كلّ واحد منا بمفرده أمام كرسي المسيح بمعزل عن المقارنة بالآخرين. لذلك يجب أن نحترص لنفوسنا لكي يكون باستطاعتنا أن نفرح **بعملنا** عوضًا عن فرحنا بفشل الآخرين.

٦: ٥ يعلّم بولس في العدد ٢ أنّه يجب علينا أن نشارك الآخرين في أحزانهم وآلامهم والصعوبات التي يعانون منها في هذه الحياة الحاضرة. والفكرة في العدد ٥ هي أنّ كلّ واحد منّا سيحمل **حمله** الخاص من المسئولية أمام كرسي المسيح.

٦:٦ يتحمّل المؤمنون مسئولية دعم معلّميهم في الرب. وتعني «**المشاركة في جميع الخيرات**» أن نُشركهم في الأشياء المادية في هذه الحياة، وأن ندعّمهم بصلواتنا أيضًا، ونعيرهم اهتمامًا روحيًّا مقرونًا بالتقوى.

٦: ٧ إن الله يرى تقصيرنا مع خدّام الربّ؛ الأمر الذي ربّما لا يلاحظه الآخرون، وهو يعطينا الحصاد الذي يتوافق معه. **فإننا نحصد ما نزرعه**، ونحصد دائمًا كميّات أكبر من التي نزرعها. فعندما يزرع الفلّاح قمحًا يحصد القمح مثمرًا أضعافًا بالثلاثين أو الستين أو المئة. ويكتب سكوفيلد *Scofield* ملاحظًا أن "الروح القدس لا يتحدّث هنا إلى الخطاة بل إلى القدّيسين بشأن بُخلهم".

يصحّ القول طبعًا بشكل عام أنّ «الحارثين إثمًا والزارعين شقاوة يحصدونها» (أي٤: ٨)، وأنّ «الذين يزرعون الريح يحصدون الزوبعة» (هو٨: ٧). ويقول المؤرّخ فرود *J. A. Froude*: "هناك درس واحد فقط يكرّره التاريخ بشكل واضح، وهو أنّ العالم مبنيّ بشكل أو بآخر على قواعد أخلاقيّة، حتى إنّ الصالح يلقى الصلاح في نهاية المطاف البعيد، والشرير يلقى الشرّ في نهاية المطاف أيضًا".

٦: ٨ إنّ التعليم القائل بأنّ «**ما يزرعه الإنسان إيّاه يحصد أيضًا**» تعليم صحيح بشكل عام؛ لكن يجب أن نلاحظ أنّ هذا العدد يأتي مباشرة بعد التشجيع على العطاء المسيحي. ففي ضوء هذه الحقيقة نرى أنّ الزرع **للجسد** يعني أن يُنفق الإنسان أمواله على نفسه وملذّاته وراحته الشخصية. والزرع **للروح** هو استخدام الأموال الشخصية لتوسيع الخدمة المسيحية.

هذا وإنّ الذين يزرعون للجسد يحصدون الخيبة والخسارة؛ هنا على الأرض لأنّهم يدركون كلّما تقدّموا في العمر أنّ الجسد الذي عاشوا لأجله يفنى ويموت، وبعدئذ يخسرون المكافآت الأبدية في الدهر الآتي. هذا وإنّ الذين يزرعون للروح **فمن الروح يحصدون حياة أبديّة**. وثمة طريقتان تُستخدم بهما «الحياة الأبدية» في الكتاب المقدس: ١- يُفهم منها ما يخصّ المؤمن في الحاضر (يو٣: ٣٦). ٢- يُفهم منها ما سوف يحصل عليه المؤمن بعد نهاية الحياة على الأرض هنا (رو٦: ٢٢). والذين يزرعون للروح يتمتّعون بالحياة الأبدية هنا وبطريقة لا يتمتّع بها المؤمنون الآخرون. وفي ما بعد سيحصدون أيضًا المكافآت التي ترافق الأمانة عندما يصلون إلى مسكنهم السماوي.

٦: ٩ ولكي لا يخور أحد، ذكّر الرسول بولس قرّاءه بأنّ المكافآت حتميّة، ولو لم تكن مباشرة. فنحن لا نحصد سهلاً من القمح بعد يوم من زرعنا إيّاه؛ وهكذا الحال أيضًا في المجال الروحي. فالمكافآت ستتبع بالتأكيد الزرع الأمين في موسم الحصاد (**في حينه**).

٦: ١٠ يشمل التعبير «**أهل الإيمان**» هنا جميع الذين حصلوا على الخلاص دون اعتبار للطوائف والانقسامات الأرضية. ويجب ألاّ يقتصر لطفنا على المؤمنين فقط، لكن ينبغي أن نظهره لهم بطريقة خاصة. وليس المطلوب أن نتصرّف سلبيًّا، أي بالسؤال عن مقدار الأذى الذي يمكن أن نتحاشاه بل بالتصرف الإيجابي سائلين عن مقدار الخير الذي نستطيع أن نعمله للإخوة المؤمنين. ويوجز جون وسلي *John Wesley* هذا المبدأ قائلاً: "اصنع كل ما تقدر من الخير بكل الطرق الممكنة لديك، ولكل من تستطيع من الناس ما دمت تستطيع أن تفعل ذلك".

د. الخاتمة (٦: ١١-١٨)

٦: ١١ «انظروا ما أكبر الأحرف التي كتبتها إليكم بيدي!» لقد كتب بولس هذه الرسالة بيده بدلاً من أن يُمليها على مساعد له كما تعوّد أن يفعل. والأحرف الكبيرة التي كتبها يمكن أن تشير إلى اهتمامه الكبير بمحاربة الناموسيين وإلى مدى خطورة ضلالة التهوّد والتهويد بحسب اعتباره. أو قد تشير الأحرف الكبيرة إلى أن نظر بولس كان ضعيفًا كما يعتقد كثيرون بناءً على هذا المقطع ومقاطع أخرى؛ ونشعر أنّ هذا التفسير الأخير صحيح.

٦: ١٢ أراد المهوِّدون أن يصنعوا **منظرًا حسنًا في الجسد** من طريق تجميع عدد كبير من المناصرين، وقد شدّدوا على ضرورة الختان ليتمّ لهم هذا الأمر. فغالبًا ما يستريح الناس لممارسة الشعائر والطقوس ما دام ذلك لا يتطلّب منهم تغييرَ عاداتهم. وإنّه لمن الشائع اليوم ضمّ أعداد كبيرة لعضوية كنيسة ما من طريق خفض المستويات الروحية. وهكذا، فإنّ بولس أدرك خبث أولئك المعلّمين الكذبة، واتّهمهم بالسعي لتحاشي الاضطهاد من أجل صليب المسيح. ويعني **الصليب** الحكم على الجسد ومجهوداته لإرضاء الله. **والصليب** يقضي بالموت على الطبيعة الجسدية وأنبل مجهوداتها، وهو يعني الانفصال الكامل عن الشرّ. لذلك فإنّ الناس يبغضون رسالة الصليب المجيدة ويضطهدون أولئك الذين يبشّرون بها.

٦: ١٣ لم يكن الناموسيّون مهتمّين حقيقةً بحفظ الناموس. إنّما أرادوا طريقة سهلة للحصول على أتباع ليتمكّنوا من الافتخار بلائحة مناصريهم الطويلة. يقول بويس *Boice*: "كان سعيهم محاولة لربح الآخرين إلى نظامٍ أُعلن إفلاسه لأنّه لم يكن حتى ذوو الختان قادرين على حفظ الناموس".

٦: ١٤ إنّ افتخار بولس غير مبنيّ على الجسد البشريّ، لكن على **صليب ربنا يسوع المسيح**. فعلى ذلك الصليب مات **العالم** لبولس ومات بولس **للعالم**. وعندما يخلص الإنسان فإنّ العالم يودّعه، وهو بدوره يودّع العالم. فلقد تلف بالنسبة للعالم لأنّه لم يعد يهتمّ بملذّاته الزائلة؛ إذ لم يعد العالم ليجذبه لأنّه وجد الشخص الكريم الذي يُشبعه بالتمام. يقول فندلّي *Findlay*: "لا يستطيع المؤمن أن يثق بالعالم ولا أن يفتخر به، ولا أن يحترمه في ما بعد. فقد خسر العالم مجده وفقد قدرته على إغراء المؤمن والتحكّم به". وهكذا فإنّ الصليب هو الحاجز العظيم أو خطّ الفصل الذي يتوسّط بين العالم والمؤمن.

٦: ١٥ هذه الآية هي أحد أهمّ التصريحات في الرسالة كلّها في ما يتعلّق بالحق المسيحي، مع أنّ هذا قد لا يبدو واضحًا لأول نظرة.

«الختان» كان أحد الطقوس والممارسات الخارجية. وقد اجتهد المعلّمون اليهود لجعل كل شيء مرتبطًا بممارسة هذه الفريضة الناموسية. **فالختان** كان أساس الديانة اليهودية، لكنّ بولس يطرحه جانبًا ببراعة: **الختان لا ينفع شيئًا**. فلا الطقوس ولا اليهودية ولا الناموسية تنفع شيئًا. ثم يضيف بولس: **ولا الغرلة تنفع شيئًا**. وهنا أيضًا الأشخاص الذين يعتزّون بغياب الطقوس من حياتهم وكلّ خدمتهم في الكنيسة ثورة ضدّ الطقسية. لكن يقول بولس: حتى هذه لا تنفع شيئًا!

ما يهمّ الله بالحقيقة هو **الخليقة الجديدة** فهو يريد أن يرى الحياة المتغيّرة. ويقول فندلّي *Findlay*: "إنّ

المسيحية الحقيقيّة هي تلك التي تجعل الإنسان الرديء إنسانًا صالحًا وتحوّل عبيد الخطيّة إلى أولاد الله". هذا، وهنالك خليقتان اثنتان تصنّفان البشر جميعًا. فالمولودون في العالم خطاة لا قوّة لهم ومحكوم عليهم بالدينونة. ثمّ إنّ كلّ المجهودات التي يقومون بها من أجل خلاص نفوسهم من طريق الأعمال الجيدة والأخلاق الحسنة هي مجهودات باطلة ولا قدرة لها على تغييرهم. أمّا **الخليقة الجديدة** فيترأسها المسيح المُقام وهي تشمل كل المفديين من الخطيّة والذين أخذوا الحياة الجديدة في شخصه. ثم إنّ **الخليقة الجديدة** تستثني كلّ تفكير لاكتساب رضى الله من طريق الأعمال والأخلاق الحسنة، لأنها عمل المسيح من بدايتها إلى نهايتها. هذا وتظهر حياة القداسة بالتسليم للمسيح وتوفير المجال له ليحيا حياته في المؤمن، وليس كنتيجة لممارسة الطقوس والشعائر الدينية. وليست الخليقة الجديدة تحسينًا للخليقة القديمة أو إضافة إليها بل هي شيء مختلف كليًّا.

٦: ١٦ ترى عن أي **قانون** يتحدّث بولس هنا؟ إنه **قانون** الخليقة الجديدة: فهو ينطق ببركة مضاعفة من **السلام والرحمة** على كل الذين يحكمون على كل تعليم بواسطة السؤال التالي: "هل هو من الخليقة الجديدة؟"، والذين يرفضون كل ما ليس من الخليقة الجديدة.

وعلى إسرائيل الله: اعتبر كثيرون أنّ الإشارة هنا هي إلى الكنيسة. لكنّ العبارة «إسرائيل الله» تُشير إلى أولئك المولودين بالطبيعة يهودًا وقد قبلوا الربّ يسوع بوصفه مسيّاهم المنتظر. لم يكن يوجد **سلام ولا رحمة** للذين عاشوا تحت الناموس لكن الذين هم في الخليقة الجديدة يتمتّعون بكليهما.

٦: ١٧ لقد خلّص الربّ يسوع بولس من العبودية بعدما كان عبدًا للناموس. وهو الآن ملكُ الربّ إذ له يستعبد نفسه طوعيًّا. ولقد **حمل بولس في جسده سمات** ملكيّة **الرب يسوع** له، تمامًا كما كان العبيد يوسمون بسمات سادتهم. فما هي تلك **السمات**؟ لقد كانت آثار الجراح التي نالها من أيدي مضطهديه. والآن ها هو يقول: "لا يحاولنّ أحد أن يطالب بي ثانية. ولا تحدّثوني عن سمة الختان التي تشير إلى العبوديّة للناموس. فأنا أحمل سمة معلّمي الجديد، سيّدي يسوع المسيح".

٦: ١٨ الرسول بولس الآن على وشك أن يضع قلمه جانبًا. لكنّه يجب أن يختم ببعض الكلمات، فأيّ شيء يزيد؟ **النعمة**؛ وهي الكلمة التي تميّز بشارته بشكل كبير. **النعمة**، لا الناموس. إنّها الموضوع الذي بدأ به (١: ٣) وها هو يختم به الآن. «**نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الإخوة. آمين**».

الناموسيّة

قد يستنتج المرء عند ما يفرغ من دراسة هذه الرسالة أنّ بولس الرسول هزم معلّمي الناموسيّة هزيمة كبيرة لدرجة أنّ هذا الموضوع لن يُزعج الكنيسة ثانية فيما بعد على الإطلاق. لكنّ التاريخ والاختبار يثبتان العكس! فقد أصبحت الناموسيّة جزءًا مهمًّا من المسيحية الاسميّة، حتى إنّ كثيرين اليوم يظنّون أنّها جزء ينتمي أصلاً إلى المسيحية الحقيقيّة.

حقًّا إنّنا الناموسيّين مازلنا معنا. فما تُرانا نسمّيا لخدّام المسيحيّين الذين يعلّمون أنّ تثبيت مثلاً والمعمودية أو عضوية الكنيسة جميعها أمور ضرورية للخلاص؛ ويعلّمون أيضًا أنّ

الناموس هو قانون حياة المؤمن، وأنّنا نحصل على الخلاص بالإيمان لكننا نحفظه بواسطة الأعمال؛ ماذا نسمّي مثل هؤلاء سوى ناموسيّين؟ فعندما يطلبون منّا أن نقبل كهنوتًا مرسومًا ورسامة بشريّة، مع كلّ ما يرافقها من ألبسة مميّزة وأبنية مرتّبة حسب مثال الهيكل، مع المذابح المنحوتة والطقوس المعقّدة، والروزنامة الكنسيّة التي تحوي مواسم الصوم الكبير مع الأعياد المختلفة ومختلف الأصوام الأخرى، أفليس هذا تعبيرًا عن إدخال اليهودية إلى المسيحية؟

وعندما يوصى المؤمنون بحفظ السبت لكي يضمنوا الخلاص في النهاية، أفليست هذه هي الهرطقة الغلاطيّة بعينها؟ هذا وإنّ وعّاظ الناموسية العصريّين يحقّقون تقدّمًا في صفوف المؤمنين بالمسيح حاليًا، فلهذا السبب يجدر تحذير كلّ المؤمنين من تعليمهم المضلّل وتأهيلهم للإجابة على ادّعاءاتهم.

يبدأ الدّاعون لحفظ السبت عادةً بالكرازة بإنجيل الخلاص بالإيمان بالمسيح. ويستخدمون ترانيم إنجيلية محبّبة ليُضلِّوا غير الواعين ويظهروا بمظهر المشدّدين على حقّ الكتاب المقدس. ولكن سرعان ما يضعون أتباعهم تحت نير ناموس موسى وبالأخص تحت الوصايا التي تتعلّق بالسبت (وهو طبعًا اليوم السابع من الأسبوع، أي يوم الراحة).

لكن كيف يجرؤون على مثل هذا العمل في ضوء تعليم بولس الواضح أنّ المسيحيّ قد مات للناموس؟ وكيف يتجاوزون التصريحات الواضحة الواردة في رسالة غلاطية؟ يكمن الجواب بأنّهم يميّزون تمييزًا واضحًا بين الناموس الأدبي أو الأخلاقي وناموس الفرائض. فالناموس الأخلاقي هو الوصايا العشر. وأمّا ناموس الفرائض فيشمل الترتيبات الأخرى المعطاة من الله كالقوانين المتعلّقة بالمأكولات النجسة والبرص والتقدمات أو الذبائح المقرّبة لله وإلى ما هنالك.

وهم يقولون بأنّ الناموس الأخلاقي لم يُنقَض قطّ. إذ إنّه يُعبِّر عن حقّ الله الأزلي. فالزنى الروحي أي عبادة الأوثان، والقتل، والزنى الجسدي؛ كلّها أمور تناقض ناموس الله على الدوام. وبالمقابل، فإنّ ناموس الفرائض قد أُبطل في المسيح. لذلك فهم يستنتجون أنّ بولس عندما يعلّم أنّ المسيحيّ مات للناموس. فإنّما هو يتحدّث عن ناموس الفرائض لا عن الوصايا العشر.

وبما أنّ الناموس الأخلاقي ما زال، في نظرهم، قائمًا؛ فهم يصرّون على أنّ المسيحيين مُلزَمون بحفظه. وهذا يعني أنّ عليهم أن يحفظوا السبت وألاّ يعملوا أيّ عمل فيه. وهم يقولون إنّ أحد الباباوات في كنيسة روما الكاثوليكية هو الذي أمر بإلغاء حفظ يوم السبت واستبداله بحفظ يوم الأحد، وكان ذلك خَرقًا واضحًا للكتاب المقدس، كما يقولون.

قد يبدو هذا التفكير منطقيًّا جدًّا ومقبولاً. إلا أنّ خطورته العظيمة تكمن في أنّه يناقض كليًّا تعليم كلمة الله. ولنلاحظ معًا النقاط التالية:

١- تُظهِر لنا الآيات الواردة في ٢كورنثوس ٣: ٧-١١ أنّ الوصايا العشر قد انتهت بالنسبة للمؤمنين بالمسيح. ففي العدد ٧، يظهر الناموس على أنّه «خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة». ولا يمكن أن يعني هذا إلاّ الناموس الأخلاقي وليس ناموس الفرائض. فالوصايا العشر وحدها هي التي نُقِشَت في حجارة بإصبع الله (خر ٣١: ١٨). ونقرأ في العدد ١١، أنّ خدمة الموت قد زالت على الرغم من مجدها، وهذا ما يفصل في الأمر بشكل قاطع. لذلك ليس

المسيحيّ مُلزمًا بحفظ السبت إطلاقًا.

٢- لم يطالب أحدًا من الأمم الراجعين إلى الله قطّ بحفظ السبت، إذ أُعطي الناموس للأمّة اليهوديّة فقط (خر ٣١: ١٣). ومع أنّ الله نفسه استراح في اليوم السابع، فهو لم يأمر أحدًا آخر بحفظ يوم السبت إلى أن أعطى الناموس لبني إسرائيل.

٣- لم يغيّر المسيحيون يوم السبت إلى أوّل يوم من الأسبوع بسبب قرار أيّ من البابوات. فنحن نكرّس يوم الربّ بشكل خاص للعبادة والخدمة لأنّ الربّ يسوع قام من بين الأموات في ذلك اليوم محقّقًا أنّ عمل الفداء قد اكتمل (يو ٢٠: ١). وفي ذلك اليوم أيضًا اجتمع التلاميذ الأوّلون ليكسروا الخبز متذكّرين موت الربّ (أع ٢٠: ٧)، وهو اليوم المعيّن من الله للمؤمنين لكي يضعوا جانبًا تقدّماتهم بحسب ما يسّر لهم الربّ (١كو ١٦: ١، ٢). وعلاوة على ذلك فإنّ الروح القدس أُرسل من السماء في اليوم الأول من الأسبوع. هذا وإنّ المؤمنين المسيحيّين لا يحفظون يوم الربّ كوسيلة للحصول على القداسة، أو خوفًا من القصاص، لكنهم يكرّسونه بسبب محبّتهم للذي وضع نفسه لأجلهم.

٤- لا يفرّق بولس بين الناموس الأخلاقي وناموس الفرائض؛ لكنّه يشدّد بالحريّ على أنّه وحدة متكاملة، وأنّ اللعنة تقع على الذين يفشلون في حفظه كاملاً عندما يسعون للحصول على البرّ بواسطته.

٥- يستعيد العهد الجديد تسعًا من الوصايا العشر معطيًا إيّاها كإرشادات أخلاقيّة لأولاد الله. وتعالج هذه الوصايا أمورًا حسنة أو سيّئة من حيث الجوهر. أما الوصيّة الوحيدة غير المذكورة فهي التي تتعلّق بحفظ السبت، إذ ليس حفظ يوم ما أمرًا حسنًا أو سيّئًا حسب الجوهر. وليس في العهد الجديد وصية تطالب المسيحيين بحفظ السبت، بل بالحري لا يمكن الحكم على المؤمنين إن لم يحفظوه (كو ٢: ١٦).

٦- كان الناموس يعاقب بالقتل كاسر السبت في العهد القديم (خر ٣٥: ٢). لكنّ الذين يصرّون اليوم على ضرورة حفظ السبت من قِبَل المؤمنين لا يستطيعون أن ينفّذوا العقاب في المخالفين. وهكذا فإنّهم يهينون الناموس ويهدمون سلطانه من طريق عجزهم عن المطالبة بضرورة إيفاء مطاليبه. وكأنّهم بالحقيقة يقولون: "هذا هو ناموس الله عليكم أن تحفظوه، لكن شيئًا ما لن يحدث إن كسرتموه".

٧- إنّ دستور حياة المؤمن هو المسيح لا الناموس. فعلينا أن نسلك كما سلك هو، وهذا أرفع بكثير من المقياس الذي وضعه الناموس (مت ٥: ١٧-٤٨). فالروح القدس يمنحنا القوة لنحيا حياة القداسة، ونحن نريد أن نحيا حياة مقدّسة بسبب محبتنا للمسيح. ثمّ إنّ البرّ الذي طلبه الناموس يتمّ فينا «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨: ٤).

وهكذا نجد أنّ تعليم المؤمنين بضرورة حفظهم للسبت يتنافى تمامًا مع الكتاب (كو ٢: ١٦)، وهذا التعليم يشكّل إنجيلاً آخر تحكم عليه كلمة الله باللعنة (غل ١: ٧، ٩).

عسى أن يمنح الله كلّ واحد منّا حكمة لكي نميز تعليم الناموسية الشرير بمختلف الأشكال التي يمكن أن يظهر فيها! وعسانا أيضًا ألاّ نسعى للتبرير أو التقديس من طريق الفرائض والمجهودات البشرية، بل أن نعتمد كليًّا على الربّ يسوع المسيح في كل ما يعوزنا. ولنتذكّر دائمًا أنّ الناموسية إهانة لله لأنّها تستبدل بالحقيقة ظلّها، وبالمسيح فرائض زائلة.